

الحضارات الأفريقية .. وفكرة الانتشار الحضاري وطرقه في أفريقيا

للدكتور كوتر عبد المبرك
الامتياز المساعد الجغرافيا
كلية البنات الإسلامية

من الموضوعات الهامة في دراسات الجغرافيا البشرية والجغرافيا الاجتماعية بالذات هجرات الحضارات وانتشارها ودراسة طرق هذه الهجرات . ذلك أن الهجرة البشرية من مكان إلى مكان — سواء كانت تلك الهجرة تمثل تحرك جماعة من البشر في صورة هجرة جماعية أو فردية ، أو سواء كانت تلك الهجرة تمثل انتقال نماذج من حضارة جماعة إلى جماعة أخرى — أمر معترف به من جميع مصادر البحث في علوم إنسانية عديدة أهمها الجغرافيا والأنثروبولوجيا والاجتماع .

ولا يتمصر دور الهجرة بهذا المفهوم الواسع على أنه أمر معترف به من جانب عدة علوم ، بل إنه بدون الإعراف به لا يمكن تفسير كثير من التشابه في درجاته المختلفة بين نظم اقتصادية إجتماعية سياسية في عديد من الشعوب ، وتفسير تطور وسائل الإنتاج من الكفاية الذاتية البدائية إلى الزراعة والصناعة الحديثة .

وقد عالج كثير من العلماء — كل في ميدان تخصصه — هجرات الناس والحضارات في العالم القديم والحديث . وفي فترة مامن الزمن اشتد شغف عدد من العلماء بمسألة هجرة الحضارات . وبالغ البعض مبالغة شديدة . ومن

وهؤلاء من تعصب لمصر كمرکز لا انتشار عدد من عناصر الحضارة العليا في العالم ومن أهمهم اليوت سميت Smith وبري Perry ومنهم من تعصب لحضارات ما بين النهرين على أنها مركز إشعاع الحضارة العليا في العالم ، مثل راجلان Raglan وهيليداي Hilliday ومنهم من أخذ عنصرا حضاريا وحاول تطبيقه على العالم بوصفه أنه مصدر الحضارات كلها ، ومن هؤلاء هو كارت Hocart (١) الذي نادى بأن حضارة الملوك هي الأصل الذي استمدت منه حضارات العالم جميع أشكالها — ذلك أن الطبقات المختلفة تحاول دائما التطلع إلى أعلى وتقليد حضارة أعلى الطبقات ، وهذه هي حضارة الملوك . ولقد بلغ التعصب لمثل هذه النظريات الانتشارية حدا جعل العلماء التاليين ينفرون تماما من فكرة الانتشار ويذهبون إلى حد التطرف برفض كل انتشار حضارى وبشرى . وهؤلاء أيضا مخطئون . فهم قد كادوا أن يجعلوا العالم حضارات مختلفة منفصلة تماما عن غيرها في نشأتها وتطورها . وانتهى هذا التضارب في الآراء إلى الاعتراف مرة أخرى بالانتشار بين معظم الباحثين باستثناء عدد منهم معظمهم في إنجلترا ، وذلك بسبب سيادة نظرية الوظيفة في الدراسة الحضارية — وهذه النظرية وإن كانت قد أدت خدمة جليلة من أجل دراسة ناحية هامة من نواحي الحضارة — وهى التركيب الاجتماعى ودراسات القرابة في المجتمعات إلا أن هذه النظرية لم تولد الإنجليزية ، بل نشأت فرنسية على يد أميل دوركايم وطورها بولندى هو برونسلاو مالينوفسكى واحتضنها الانجليز بشيء كثير من التعصب والتطوير .

وسبب هذا الاختلاف المذهبي في مراحل الزمنية المختلفة إلى عصرنا الحديث يعود إلى عدد من الحقائق التى يتشبهت كل منهج بإحداها على أنها

(١) يراجع هؤلاء المؤلفين الكتب التالية :

Smith, G. E., 1929. "The Migrations of Early Cultures"

Manchester.

Hocart, A. M., 1927. "Kingship" Oxford. And 1936 "Kings and Councillors". Cairo.

العامل الحاسم في نشأة وتطور الحضارة . وفوق كل هذا فإن هناك مبدأ معترف به هو مبدأ وجود عناصر حضارية متشابهة تنشأ نشأة منفصلة مستقلة عن بعضها في أقاليم جغرافية متباعدة . وهناك أيضاً مبدأ آخر يقول إن عدداً من العناصر الحضارية تنشأ مرة واحدة في منطقة واحدة ثم تنتشر من مركز نشأتها إلى مناطق جغرافية متقاربة ومتباعدة على حد سواء . وكلا المبدأين معترف به من جانب العديد من العلماء . ويكون الاتفاق على أشده في تطبيق المبدأ الثاني على عدد من العناصر الحضارية التي دفعت بالعالم دفعا إلى مراحل التطور الكبرى . مثال ذلك أن الزراعة عرفت أولاً في الشرق الأدنى وانتشرت منذ إلى بقية أرجاء العالم . وكذلك الصناعة نشأت في الإقليم الحضارى الذى كونه دول غرب أوروبا في القرنين الماضيين .

وعلى أية حال فإن الانتشار الحضارى — بعد الدفعة الاولى الفاشلة — قد أصبح له قواعد ثابتة علمية تجعل الباحث يقف كثيراً عندما يرى عنصرين حضاريين متشابهين . فقبل أن يقول كلمته الأخيرة عليه أن يحلل الموقف تحليلاً دقيقاً فلا يأخذ فقط بالتشابه الظاهرى بين العنصرين الحضاريين ، بل عليه أن يدرس تركيب ووظيفة مثل هذا العنصر الحضارى بين مجموع النظام الحضارى الذى يعيش فيه ، وأن يحلل دوره في عالم الفكر الكورزمولوجى والدينى ، أو في تنظيمات المجتمع الإقتصادية والاجتماعية . وفي هذا المجال نذكر الأستاذ كوبرز Koppers حين يقول بحملا فكرة الانتشار :

We speak of such parallels if we meet identical or similar cultural phenomena in different parts of the world. In any given case, the question whether or not we are faced with true relation will depend on the degree of conformity and the number of parallel traits, i.e., on the "criteria of form and of quantity". Whenever the question is to be answered in the affirmative, this will have to be considered as a proof of diffusion". (٢)

Koppers, W., 1955. "Diffusion : Transmission and (٢)
Acceptance" Year book of Anthropology. New York.

ولاشك أن التشابه في الصورة المتكاملة ليس موجودا في الطبيعة الحضارية بل أنه نظراً لأن هناك حضارات متفاوتة في الأسس والجذور والتكيف فإن التشابه لا يكون كاملاً في شكله ولا في وظيفته ولا في دوره تماماً في تنظيمات المجتمع الإقتصادية والاجتماعية . إنما يحدث تداخل ويطرأ على العنصر الحضارى كثير من التغيير ويتشكل في صورة جديدة ، وإن بقيت أصوله غير معروفة وتفسر دائماً في صورة أسطورية . ومن ثم فإن التوصل إلى دراسة التشابه الحضارى لعدد من العناصر يحتاج إلى وصف دقيق للعناصر الحضارية منفصلة ومتفاعلة ، وتحليل دقيق لوظائف العنصر الحضارى في حد ذاته وفي تشابكه وترابطه مع غيره من العناصر التي تكون البناء الحضارى . ثم هناك أيضاً ضرورة الاتجاه إلى دراسات أخرى لتأكيد القرار الذى سيتخذه الباحث . ومن أهم هذه الدراسات علم انثروبولوجيا الطبيعية الذى يدرس السلالة والجنس ، ودراسة ما قبل التاريخ وأركيولوجية ودراسة أو ثائق التاريخية إن وجدت والدراسات اللغوية الخ ...

والعادة أن تنتشر العناصر الحضارية من الحضارات العليا إلى الحضارات الأقل تطوراً وخاصة في أفريقيا . ولكن هذا لا يمنع إطلاقاً دخول عناصر حضارية بدائية إلى الحضارات العليا ، وتنتشر الحضارة بطرق مختلفة أهمها هجرة جماعات انسانية من أقليم إلى آخر حاملين معهم عاداتهم وبنائهم الحضارى . مثل هذه الهجرات تنتج لأسباب عديدة أهمها التوسع والغزو أو ازدياد السكان والبحث عن مناطق رزق جديدة ، أو الاضطهاد والظلم . وتتخذ الهجرة إما شكل موجة بشرية كبيرة وإما تسرب مستمر لجماعات قليلة العدد على مدى زمنى طويل . والهجرة التي تأخذ شكل موجة كبيرة تؤدي إلى عدم تجانس حضارى لفترة طويلة . أما التسرب المستمر لجماعات قليلة العدد فيؤدي إلى انسجام العناصر الحضارية الجديدة والقديمة معا . والهجرة الناجمة عن الغزو تؤدي إلى ثنائية في الحضارة : فيصبح هناك حضارة الطليقة الحاكمة وحضارة مجموع الشعب .

وليست الهجرة البشرية هي العامل الوحيد في هذا المضمار بل إن هناك النقل الحضارى نتيجة التجاور المكاني، أو العلاقات التجارية أو الاشتراك في المصالح الاقتصادية التي تستلزمها العلاقات المكانية — سواء كان ذلك الاشتراك سلمياً أم نزاعاً حربياً .

وعلى الرغم من التسليم بمبدأ الانتشار الحضارى بالنسبة لعدد معين من عناصر الحضارات إلا أنه يمكن القول بصفة عامة أن معظم الحضارات البشرية البدائية والعالية قد تأثرت ببعض بحيث يندر أن يوجد شكل حضارى لم ينقل عن غيره بعض العناصر . ومع ذلك فإن هناك في الوقت الراهن درجات من التأثير أيضاً كما كان في الماضي . وسبب ذلك متعدد النواحي ، لكن يكفي أن نقول هنا أن الموقع الجغرافي والأحوال الجغرافية الطبيعية للأقاليم المختلفة قد أدت إلى تباين مدى التأثير والتأثير . فمناطق العزلة الجغرافية هي أقل المناطق الحضارية اختلاطاً وأكثرها محافظاً ، في حين أن المناطق التي تقع على الطرق الهامة التي رسمتها الطبيعة ، والتي استغلها الإنسان في تحركاته كجموع مهاجرة ، أو في اتخاذها كطرق اتصال وتجارة ، قد أصبحت أكثر المناطق الحضارية تعقيداً في التركيب وأقلها جوداً . وهكذا تتميز مناطق الاختلاط والاحتكاك بمرونة العناصر الحضارية وقابلية المجموع الحضارى لاستيعاب مظاهر حضارية جديدة .

طرق الهجرات في أفريقيا

وأفريقيا تماثل آسيا في أنهما القارتان اللتان تتميزان بظهور الفوارق الحضارية ظهوراً واضحاً . وربما فاقت أفريقيا آسيا في هذا المضمار . وسبب ذلك راجع إلى الطبيعة الجغرافية للقارة من حيث وجود عدد كبير من مناطق العزلة والاتجاه ، والعوائق الطبيعية ضد الاتصال والاحتكاك بين الشعوب ، بل إن نصف القارة جنوب خط الاستواء.

يكاد أن ينفصل تماما عن بقية القارة بواسطة الغابات الاستوائية لولا وجود بحر طبيعي هو هضبة البحيرات التي تخلو من الغابات ، وبالتالي كونا طريقا هاما للمجرات التي عمرت جنوب القارة كما أن الصحراء الكبرى تكاد تفصل الهامش الشمالى للقارة عن بقية القارة لولا وجود طريق النيل وطريق الاطلنطى . وفي الوقت الذى ترتبط فيه آسيا بأفريقيا عبر برزخ السويس وتكاد تلمس شرق القارة فى منطقة خليج عدن ، نجد بقية القارة - بعوائقها العديدة تبعد عن منطقة الاختلاط الحضارى العالى القديم فى الشرق الأدنى .

هذه الظروف مجتمعة قد ساعدت على التباين الكبير فى أفريقيا ، وظهور أنواع ونظم من الاقتصاد والبناء الاجتماعى تتراوح بين البدائية الأولية فى نطاق أقاليم الأقزام والبشمن وبين التقدم الذى توجه تكوين الدولة فى وادى النيل الأدنى .

وعلى الرغم من أن دراسة الطرق الأساسية فى أفريقيا مقدمة لا بد منها لدراسة انتقال الجماعات والحضارات ، إلا أن ذلك لم يكن ممكنا فى بداية الدراسات الحضارية عن أفريقيا . ذلك أن معرفة الطرق تتطلب دراسات جغرافية طبيعية للقارة من ناحية ، ودراسات الآثار التى خلفتها حضارات ما قبل التاريخ ، ودراسة الوثائق التاريخية والتكوين الجنسى واللغوى فى أفريقيا . وكل هذه الدراسات لم تسكد تبدأ إلا فى أواخر القرن الماضى . وأوائل القرن الحالى . ولاشك أن كتابة تاريخ أفريقيا لم يكد يبدأ إلا بعد الحرب العالمية الثانية . ومن ثم فإن تقرير الطرق التى سلكتها الجماعات البشرية والحضارات لم يكن ممكنا فى قارة لم يتأخر كشفها الجغرافى فقط ، بل تأخرت فيها الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية إلى فترة حديثة جدا .

وحتى ما نكتبه اليوم عن الطرق الأساسية فى أفريقيا ، مثل طريق النيل أو طريق السفانا ، ليست فى الواقع - وباستثناء طريق النيل - سوى استنتاجات واستقرارات من الخريطة النباتية لأفريقيا ، وتعليقات مستمدة

من واقع الدراسات المرتبطة بالمياه الجوفية في النطاق الصحراوي في الوقت الراهن واستنتاج ما كانت عليه في الماضي ، كذلك توزيعات الغابات الاستوائية في الوقت الراهن ليست بالصورة التي كانت عليها منذ عشرة آلاف سنة . وما نقوله باستمرار عن اختراق الصحراء لم يتم إلا في أوائل العهد المسيحي بعد دخول الجمل أفريقيا ليس سوى استنتاج منطقي فقط وهو معرض للتغير إذا ما عرفنا أن هناك فئة من العلماء تقول أن الجمل عرف في مصر منذ أقدم العصور مثل بترى Petri وشارف Sharff ، وكاتون تومسون Caton-Thompson^(٣) هذا فضلا عن أن هناك احتمالا في الماضي لاختراق الصحراء في مناطق محلية بواسطة الخير — اذ كانت الآبار أغنى مياهها مما هي عليه في الوقت الراهن^(٤).

(٣) محمد رياض — كوثر عبد الرسول : الاقتصاد الافريقي : القاهرة ١٩٦٣ .

« على الرغم مما يقال باستمرار عن ان الجمل لم يدخل أفريقيا أفريقيا الا متأخرا جدا (حوالى ١٠٠ ق.م) الا ان ابحاث الكثير من علماء الدراسات المصرية القديمة مثل فلندرز بترى ، شارف ، كاتون تومسون ، قد قندوا هذه الأقوال واكدوا ان الجمل كان معروفا في مصر منذ أقدم العصور وقد سجل وجوده في كثير من الحالات في صورة تماثيل صغيرة ولكن لم يسجل على المعابد المصرية . ولنا ندري هل كان هناك مانع ديني ضد تسجيل الجمل على المعابد ، ولكن انه كان في عهد الرعامسة حيوانا شائعا لحمل الانتقال الكبيرة » . ص ١٤٠ .

W. M. F. Petri : "Social Life in Ancient Egypt". P. 139.

A. Scharff : "Das Vorgeschichtliche Graeberfeld von Abusir-el-Meleq". P. 40.

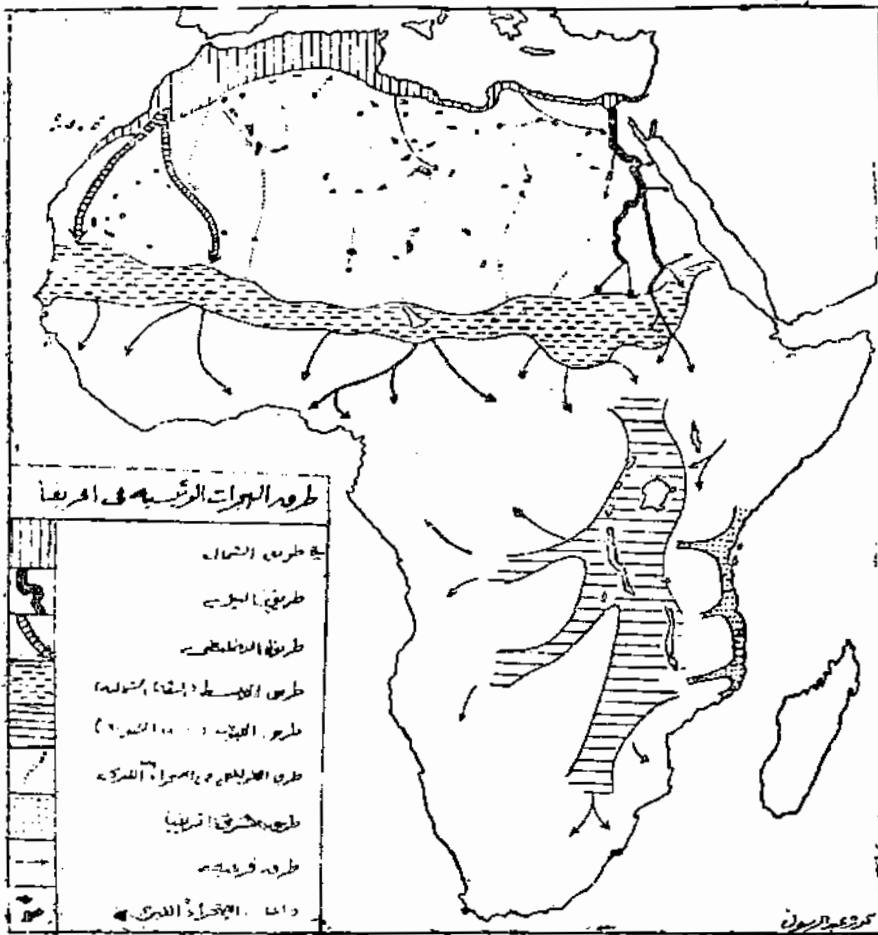
G. Caton-Thompson and Gardner : "The Desert Fayum". P. 88, 119, 128.

M. Riad : "The divine Kingship of the Shilluk and its (٤) Origin." Wien 1959.

"...it is more than certain that the pre-camel migrations took the route of the Nile southwards into the heart of Africa, though Seligman (Egypt and Negro Africa. London 1934. pp. 67-78) may be right in what concerns minor movements of population and trade accross the desert with the help of comparatively more rainfall and higher water sheet of desert wells in the past". P. 254.

فالواقع إذن أن الطرق التي نتكلم عنها ليست سوى صورة منطقية من الاستدلالات الجغرافية . وهي وإن كانت في حد ذاتها معقولة إلا أنها ليست بالضرورة الطرق التي لابد وأن الهجرات قد عبرتها ، إلا إذا استندنا إلى أدلة دامغة . هذه الأدلة كما قلنا ما زالت في مرحلة التجميع في صورة الدراسات الحقلية العديدة بين القبائل والدراسات التاريخية التي تكشف بواسطة الوثائق التي يعثر عليها بين الحين والحين وبواسطة استكمال دراسات ما قبل التاريخ . وحتى يتم ذلك ، فإن الطرق التي استخلصتها الجغرافيا والتي تأكدت بعض الشيء من جانب العلوم الأخرى ، لا تزال تكون الأساس الذي نبني عليه احتمالات الهجرات البشرية والحضارية في أفريقيا . وأهم هذه الطرق هي :

خريطة رقم (١)



- ١ - طريق الساحل الجنوبي للبحر المتوسط من سيناء إلى طنجة .
- ٢ - طريق النيل عبر الصحراء الكبرى من دلتا النيل إلى نطاق السفانا في أواسط جمهورية السودان .
- ٣ - طريق الأطلس من جنوب المغرب الأقصى حتى وادى السنغال والنيجر الأوسط .
- ٤ - طريق السفانا الشمالى من سفوح الهضبة الحبشية شرقا إلى سهول سنجامبيا غربا .
- ٥ - طريق السفانا الجنوبي من وادى النيل الجنوبي عبر هضبة البحيرات إلى جنوب شرق وجنوب غرب القارة .
- ٦ - طرق عديدة عبر الصحراء الكبرى من الشمال الى الجنوب عبر الواحات العديدة .
- ٧ - طرق نطاق الساحل الشرقى من زنجبار إلى موزمبيق تتوغل فى الداخل إلى شرق الكونغو وإلى روديسيا الجنوبية .
- ٨ - طرق من منطقة البحيرات العظمى جنوبا بغرب إلى جنوب الكونغو وساحل أنجولا .

هذا إلى جانب العديد من الطرق الفرعية التى تتوغل بعيداً عن مسارات الطرق الرئيسية وخاصة طريق البنوى وطريق الفوانى فى غرب أفريقيا ، وطريق شارى إلى أطراف الغابات الاستوائية فى شمال الكونغو ، وطرق الأودية الجبلية فى الهضبة الحبشية .

والطريق الأول وهو طريق البحر المتوسط طريق مأمون سمل وقد سارت فيه الهجرات البشرية والحضارية منذ أقدم الوثائق المكتوبة . كما أنه كانت تشترك فيه المواصلات البحرية إلى جانب البرية . وكان بذلك الواجهة الرئيسية للاختلاط الحضارى فى محيط البحر المتوسط . ففيه اشتركت أولا الحضارات المصرية القديمة والبربرية ، ثم الاغريقية والفينيقية

والرومانية والسامية القديمة والاسلامية . كذلك لانستبعد وصول مؤثرات جنوبيّة إلى هذا الاقليم عبر طرق النيل والأطنطى . وللطريق تفرعات جنوبيّة محدودة إلى مجموعة الواحات الشماليّة في الصحراء الكبرى ، نذكر منها طريق وادى ساقورا أو طريق النخيل من جنوب شرق المغرب إلى واحات تيدكت ، وطريق طرابلس غدامس - مرزوق ، وطريق جغبوب - سيوه البحريّة - البهنسا أو الفيوم . والطريق عامّة محدود في الشرق بالشريط الساحلى من غرب الدلتا إلى تونس ، وبعد ذلك يتسع ويتشعب بإتساع مناطق الماء والنبات في أفريقيا الأطلسية .

أما الطريق الثانى فهو محدد واضح ومرتبط ارتباطاً شديداً بالوادى الضيق للنيل بين رأس الدلتا ومنطقة أسوان - دراو . وله في هذه المنطقة فرعين هامين : الأول بين ثنية قنا وساحل البحر الأحمر ، والثانى بين أسيوط والواحات الخارجة والداخلية ، ولستأعرف إذا كان إمتداد الطريق من الخارجة إلى كوبي في شمال دارفور — وهو المعروف بإسم درب الأربعين - قديم منذ العمود القرعونية أم نشأ بعد انتشار العرب المهاجرين في القرن الثالث عشر في شمال السودان . وربما كان معروفًا للعهد الفارسى في مصر إذ نقرأ عن هلاك قبيز وجنوده في الصحراء . ولا ندرى هل كان متجهاً إلى واحة آمون (سيوه) أم إلى مملكة نباتا ؟^(٥)

وفيما بين دراو وأسوان يتشعب الطريق الرئيسى للنيل . فهناك شعبة هامة تسير محاذية لثنيات النيل حتى جنوب دنقله عند التقائه بوادى الملك ووادى مقدم ويتجه وادى الملك إلى الجنوب الغربى حتى شمال دارفور ، ويؤدى وادى المقدم إلى شمال كردفان ، وكلاهما ينتهيان بهذا الشكل في نطاق السفانا — أى الطريق الرابع — أما الشعبة الثانية فعالباً ما تستخدم وادى

Bovier-Lapierpe & H. Gauthier, & P. Jouguet, 1932. (٥)

"Précis de l'Histoire d'Egypte". Le Caire. P. 213.

Breasted, J. H., 1912. "History of Egypt". London. P. 383. أيضا .

قبة إلى ثنية النيل عند أبو حمد ، أو إلى بربر ومنها إلى البحر الأحمر أو ارتريا أو شمال أثيوبيا أو إلى الجزيرة . وهكذا فتشعب الطريق النيل من أسوان إلى الدبة شعبة هامة لأنها تنتهى إلى بدايات طريق السفانا العظيم . أما الشعبة الشرقية بين دراو وبربر فتنتهى إلى الجزيرة وشرق السودان وأثيوبيا فقط على الوجه الأغلب . وأخيراً فهناك من منطقة إدفو — أسوان طرق محلية عديدة إلى الشرق إلى البحر الأحمر . وربما كانت هناك طرق أخرى غرباً إلى الواحة الخارجة وخاصة من منطقة إدفو .

وطريق النيل على هذا النحو ضيق فيما بين الدلتا وأسوان ، ويتحدد بواسطة وادى النيل لأنه هنا يخترق نطاقاً شديد الجفاف من الصحراء الكبرى . واستمراره الجنوبي بين أسوان والدبة استمرار طبيعي لأنه يقطع أيضاً الصحراء الجافة . أما طريق دراو — قبة — بربر ، فهو وإن كان صعباً من حيث موارد المياه حتى بالنسبة لقوافل الإبل ، إلا أنه كان معروفاً منذ عصور سحيقة . فقد استخدم كطريق أساسى للوصول إلى مناجم الذهب والمعدن فى الصحراء الشرقية والصحراء النوبية — ويبدو أن آباره كانت أكثر ملاءمة الآن لأن الخير كانت تمثل حيوان النقل الأساسى فى المنطقة — مالم يكن الجمل قد ظهر أيضاً .

والطريق الثالث هو طريق الاطلنطى ، ولاشك أنه قد ساهم بشدة فى نقل الهجرات والحضارات من شمال غرب أفريقيا إلى غرب أفريقيا — وعلى الرغم من أنه لا توجد مجارى نهرية فيه — مثل طريق النيل — إلا أن موريتانيا مليئة بالآبار الغنية لدرجة أن عدداً من قبائل موريتانيا من العرب والبربر ، مثل الترازوا وأولاد دليم والرقيات يفتنون الأبقار ويرعونها متجولين فى هذه الآفاق الصحراوية . ولاشك أن كثرة الأبقار والخيل تعطى فكرة جيدة عن مدى الأمان الذى يمكن أن تشعر به الهجرات البشرية من وادى دراع إلى سنغال — هذا إذا طرحنا من حسابنا عدم الأمان المرتبط بكثرة

العصابات في الاقليم ، وهي العصابات التي عانت منها فرنسا الشيء الكثير .
فمنها لا يمكن حصر العصابات في مناطق الواحات أو موارد الماء القليلة كما في
الصحراء الليبية مثلا ، بل هنا تتعدد وتنتشر موارد المياه وتوزع بكثرة .
ولاشك أن غنى موريتانيا بمصادر الماء قد جعلها محط أطماع القبائل العربية
أكثر من منطقة الحجارة - أو تيسى - ومن ثم نلاحظ أن العنصر العربي
وهو الذي كان يعد في تلك المناطق إبان الفتوح في أفريقيا العنصر الأقوى ،
وما زال له هذه الصفة حتى الآن . قد اختار وتركز في موريتانيا بدرجة
لا نظير لها في الصحراء الكبرى ، فاذا اختار العنصر ذو السيادة الثقافية
والسياسية هذه المنطقة ، فلا شك أنه بنى ذلك على مدى ما تعطيه له من أمان
اقتصادي وإبقاء على التنظيم القبلي التقليدي .

وينتهي هذا الطريق إلى السنغال وإلى أواسط النيجر . وقد كان طريق
النيجر الأوسط من الأهمية بحيث اختاره القائد المغربي دويدار عام ١٥٩٠
طريقا ليسير فيه جيشه إلى تمبكتو وجاء ليقضى على مملكة سنغاي^(٦) . ويمر
هذا الطريق من وادي دراع جنوبا إلى إقليم الحنك والجوف إلى تاوديني
أروان وأخيرا إلى تمبكتو . وكلا الشعبين لطريق الأطلنطي تنهى إلى الطرف
الغربي لطريق السفانا العظيم ، وبذلك يتماثلان مع طريق النيل .

الطريق الرابع هو طريق السفانا العظيم ، وهو يسير محاذيا للمنطق
العشبي بعرض القارة من الحبشة إلى الأطلنطي . ويكاد ينصفه منطقة
تشاد . هذا الطريق مازال يستخدمه الحجاج من السنغال إلى سواكن
وبورسودان ثم عبر البحر الأحمر إلى جدة ومكة . وبعد هذا الطريق - حسب
الدراسات الحضارية الجنوبية الحالية - من الطرق الهامة جدا في أفريقيا لأنه
يتلقى في طرفيه الشرق والغرب الهجرات المنتظمة البشرية والحضارية عبر
الصحراء الكبرى ، ليلتقي بها في نطاق عريض ضخم يغطي كل ما في
أفريقيا جنوب الصحراء .

(٦) راجع Westermann, D., 1952, "Geschichte Afrikas". Köln, P. 101.

ونظراً لضخامة الطريق وتشعب الطرق الفرعية منه فقد كان به أكثر من مركز ثانوى لانتشار الناس والحضارات . هذه المراكز الثانوية كان من أضخمها وأهمها دارفور ، تشاد ، السنغال ، إلى جانب مراكز أخرى في شمال كردفان ، وفي وادى ومنطقة الهوسا ، والنيجر الأوسط . وفي كل هذه المراكز نجد اختلاطاً هائلاً من السلالات والحضارات ، وأيضاً من الدول السياسية خلال العصور الوسطى . ومن هذه المراكز انتشرت الطرق الفرعية جنوباً . من دارفور جنوباً إلى بحر الغزال ودارفريت إلى أطراف الغابات الاستوائية . ومن تشاد مع نهري شاري واللجونى جنوباً في باغرى وبنوى الأعلى وأدماوا . ومن السنغال جنوباً إلى فوتاجالون ومن شمال كردفان إلى النيل الأبيض والجزيرة . ومن الجزيرة مع النيل الأزرق وديدسا إلى كفا . ومن النيل الأبيض إلى السوبات وبحر الجبل إلى هضبة البحيرات ومن نطاق الهوسا إلى وسط وجنوب نيجيريا . ومن النيجر الأوسط إلى حوض الفولتا .

وعلى طول هذا الطريق هاجر الداجو وأحلافهم من الشرق إلى دارفور ومنها إلى شمال بحر العرب ودار سيلا . وقبلهم هاجرت العناصر الحضارية التى شكلت النظام الدينى السياسى للنيليين في جنوب السودان وأوغندا . وبعد الداجو هاجر التنجور بين دارفور وتشاد ثم العرب المسلمين الذين عربوا تماماً كردفان وجنوب دارفور وامتدوا إلى وادى وبرنو . وعلى الطريق أيضاً هاجر الفولاني من فوتاتورو في السنغال شرقاً إلى ماسينا وشمال نيجيريا وهضبة أدماوا في الكرون ، وجنوباً إلى فوتاجالون .

وعبر هذا الطريق أيضاً هاجرت عناصر حضارية لتعطى للجوكون في أعالي النوى واليوربا في جنوب غرب نيجيريا الأكان في وسط جمهورية غانا تلك المميزات المقدسة للزعامة السياسية وتلك الاتجاهات الفنية التى تميز صناعات صب النحاس وتشكيل الذهب والعاج في قبائل البنين واليوربا

والأشاتي ، وتنتشر زراعة الدخن وصناعة النسيج على الأنوال الضيقة والعريضة التي تميز أفريقيا الغربية^(٧) .

أما الطريق الخامس فهو طريق السفانا الجنوبية . ويبدأ من أعلى النيل في جنوب السودان إلى منطقة البحيرات العظمى متجنباً الحدود الشرقية لغابات الكنغو ومناطق شبه الجفاف حول بحيرة رودواف وشمال كينيا حيث يعيش البوران — أحد الفروع الهامة للجالا الرعاة . وعلى طول هذا الجزء من الطريق تكونت — كما في رأي معظم الانثروبولوجيين — شعب البانتو الذي عمر أفريقيا جنوب خط الاستواء . وكذلك يتشابه فيه النظام السياسي للحكم سواء كان ذلك عند البانتو في البحيرات العظمى أو غيرهم من الشعوب مثل تنظيمات التومسي والهيما السياسية حول منطقة كيفو .

وإلى الجنوب من منطقة البحيرات تتشعب الطرق ، منها ما يصل إلى الشاطئ الشرقي لأفريقيا ليحلب عدداً من العناصر الحضارية — وربما المجموعات البشرية — من آسيا . وهو الذي عبرنا عنه بالطريق السابع . وطرق أخرى تتجه غرباً إلى المحيط الأطلنطي بعد أن تتجنب نطاق الغابات الإستوائية . وعلى طول هذا الطريق تكونت الممالك المقدسة التي تتشابه كثيراً مع مثيلاتها في منطقة البحيرات^(٨) . ومن أمثلة الممالك المقدسة هذه ملكة الباكوبا عند التقاء نهر كساي برافده زانكورا . وهذا هو ما أسميناه بالطريق الثامن . وهناك امتداد جنوبي عبر نطاق السفانا إلى روديسيا والفرنسفال . ولا شك أن مجموعة البشمن والهو تنتوت قد عبرت من شرق أفريقيا على طول الطريق الخامس هذا حتى وصلت إلى أوطانها الحالية تحت التأثير والضغط الناجمين عن توسع البانتو .

(٧) راجع في قائمة الكتب الملحقه بهذا المقال تحت اسم رياض ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ .

(٨) راجع رياض ١٩٥٩ ، وراجع أيضاً J. P. Grazzolari, 1950-51-53. "The Lwoo" Verona.

هذه هي أهم الطرق التي تتمشى مع المنطق الجغرافى وتسندھا فى أحيان الدراسات الاثروبولوجية وغيرها من العلوم التى سبق ذكرھا . وإذا كنا نذكرھا فى الوقت الحاضر ونحن غير متأكدين تماما ، فمن ثم لا نعجب أن الرواد الأول الذين تكلموا عن الحضارات فى أفريقيا قد أخطأوا أو جعلوا موجات الحضارة تسير حيث كاد السير يستحيل .

مراحل دراسة الحضارات الأفريقية

وقد مرت دراسة الحضارة فى أفريقيا بعدد من المراحل بعضها قضى عليه تماما والآخر ما زال بجالا للأخذ والرد . وعلينا أن نلاحظ من البداية أن معظم العلماء الذين عالجوا الموضوع الحضارى فى أفريقيا كانوا من الألمان . ذلك أن معظم الإنجليز حينما ساهموا بالدراسات الاثروبولوجية فى أفريقيا كانت فكرة المنهج الوظيفى قد سيطرت عليهم ، وبالتالى لم يعن اثروبولوجى انجليزى معاصر بدراسة الحضارات الأفريقية ككل ، إنما ركزوا جهودهم فى الدراسات التحليلية لعدد من الجماعات الأفريقية وعن طريق منهج محدود يجعل الكثير منهم لا يهتم بالدراسات الحضارية المتكاملة بما فيها أعماقها التاريخية . كذلك انشغل الاثنولوجيين الفرنسيين فى أفريقيا بعدد من الدراسات التى برعوا فيها ، وخاصة الدراسات المرتبطة بالحقيدة والديانة . أما الألمان فقد درسوا موضوع الحضارة المادية بما فيه من نظم اقتصادية ومناهج بناء المساكن وحرف صنع الأدوات والأسلحة والملابس والتخزين وما إلى ذلك إلى جانب الدراسات الحضارية الأخرى كنظم السن والزواج والدين والسياسة الخ . . . ومن ثم اكتملت لدى الألمان صورة أوضح عن الحضارات الأفريقية ككل متكامل . ونحن لا نكاد نشك فى أن ذلك الدافع الذى جعل الألمان يقفون هذا الموقف بالنسبة للدراسات الاثروبولوجية راجع إلى أن نشأة الاثروبولوجيا الأولى قد اشتقت من عدد من الدراسات الجغرافية الألمانية والجغرافيين الألمان الذين تخصصوا

بشدة وعمق في الجغرافيا الاجتماعية ، نذكر من هؤلاء الأستاذين « راتزل ، Ratzei و هان ، Hahn . وإن كان راتزل قد اشتد في فكرة الحتمية إلا أن هان كان له الفضل في تحطيم فكرة حتمية تتابع الجمع — الرعى — الزراعة كنظم اقتصاد لمراحل حضارية متتابعة . على أية حال فإن ارتباط الانثروبولوجيا الألمانية المبدئي بالجغرافيا قد أعطى ذلك العلم الجديد عند الألمان الدافع للبحث عن صور شاملة للحضارات المختلفة ودراسة توزيعات العناصر الحضارية ومحاولة تقصى أسباب التوزيع . هذا الإتجاه قد دفع بعدد من الانثروبولوجيين الألمان في البداية إلى فكرة الأقاليم الحضارية والدوائر الحضارية . ثم عدل الكثير من الألمان عن هذه النظرية وإن ظلوا يدرسون أعداداً كبيرة من الظواهرات الحضارية مما لا يدرسها الانثروبولوجي الإنجليزي وعدد من العلماء الأمريكيين .

أما المراحل التي مرت بها الدراسات الحضارية في أفريقيا فهي كما يلي :

١ - المرحلة الآسيوية ، وفيها افترض أن الحضارات الأفريقية قد استمدت من جنوب شرق آسيا وأوشينيا ، في صورة هجرات واسعة . وأوضح ممثلي هذه النظرية هما ليفوفروينوس وبرنارت أنكرمان . ولم يعد أحد يؤيد هذه النظرية إلا فيما اختص بمدغشقر .

٢ - المرحلة الحامية . وقد بدأها سليجمان وأكد فيها أن عدداً من العناصر الحضارية في أفريقيا ترجع إلى العنصر السلالي الحضارى الحامى . وما زال هناك أخذ ورد فيما قاله سليجمان حتى الآن .

٣ - المرحلة السودانية : وهي التي بدأها فيلي شيلده وطورها باومان وأكدا فيها الأصل السودانى لعدد من العناصر الحضارية المنتشرة في أفريقيا . وهذه الفكرة أيضاً مجال للأخذ والرد بين المؤيدين وغيرهم .

٤ - وفيما بين هذه المراحل كلها كانت هناك نظرية الأصل المصرى القديم لعدد من العناصر المنتشرة في أفريقيا . هذه النظرية لا تمثل مرحلة قائمة بذاتها ولكنها نظرية شاعت خلال هذه المراحل الثلاثة وأكدها كثير

من الكتاب في دراساتهم المختلفة — حتى سليجمان وباومان لم يسلبا من التأثير بها .

وأياً كانت المرحلة فإن العلماء المختلفين قد انفقوا على فكرة واحدة : إن حضارات أفريقيا قد تعرضت لتأثير الهجرات البشرية والحضارية ، سواء كان ذلك من الداخل أو من الخارج . وفيما يلي نعرض لهذه المراحل الهامة في الدراسات الأفريقية .

النظرية الآسيوية

ليوفروبنيوس^(٩) Leo Frobenius

كان ليوفروبنيوس أقدم العلماء الذين حاولوا دراسة الحضارات الأفريقية وتقسيمها منهجياً إلى مجموعة من الحضارات ذات الصفات المتشابهة ولم يكن فروبنيوس أقدم الدارسين للحضارات الأفريقية فقط ولكنه كان أكثرهم كتابة عن أفريقيا ودراسة لمشكلاتها من واقع أبحاثه الحقلية العديدة التي بدأها مبكراً في الكنفو في الربع الأخير من القرن الماضي وترتب على دراساته العديدة أن غير وبدل في وجهة نظره عن الحضارات الأفريقية عدة مرات ، مما جعل دراسته تكاد تكون دراسة لتطور المعرفة عن الحضارات الأفريقية . ويمكننا أن نلخص آراءه العديدة على النحو التالي :

في سنة ١٨٩٧ انتهى فروبنيوس إلى أن أفريقيا قد استمدت حضاراتها من الحضارات التي توجد في أورشينا وجنوب آسيا الشرق ولهذا فإنه يسمي الحضارة الأفريقية باسم الحضارة الأفريقية الغربية لأنها قد هاجرت إلى

(٩) انظر في قائمة الكتب الملحق بهذا المقال تحت اسم فروبنيوس أهم مؤلفاته .

غرب أفريقيا تحت تأثير موجات بشرية وحضارية أحدث في شرق أفريقيا .

ولكنه سنة ١٨٩٨ يعود فينشر بحثاً عن ، أصل الحضارات الأفريقية
"Der Ursprung der Afrikanischen Kulturen"

وفي هذا البحث يرى أن هناك أربع حضارات في أفريقيا هي :

- ١ — الحضارة الزنجية .
- ٢ — الحضارة الزنجية الملايوية .
- ٣ — الحضارة الآسيوية .
- ٤ — الحضارة الأفريقية .

وقال إن الحضارة الزنجية الموجودة في أفريقيا مشتقة أصلاً من الحضارة القديمة التي توجد في غينيا الجديدة وجنوب شرق آسيا وأوشينيا . وقد وفدت إليها عناصر هذه الحضارة قديماً جداً . أما الحضارة الزنجية الملايوية وهي التي يعود فروبنوس فيطلق عليها اسم الحضارة الأفريقية الغربية فن المحتمل أن تكون قد نشأت في جنوب شرق آسيا ثم انتشرت سروراً إلى أفريقيا ولكن بعد أن ثبتت الحضارة الزنجية أقدامها في أفريقيا .

وفيما يختص بالحضارة الآسيوية فإن فروبنوس وإن كان في أحد المرات قد أدجها ككل مع حضارات آسيا سواء كانت الحضارة البالية أو الهندية أو الصينية إلا أنه يعود فيقسم الحضارات الآسيوية إلى قسمين : الحضارة الآسيوية الأصلية والحضارة الهندية — الصينية

"Die Eigentlich Asiatische und Die Indisch-Chinesische".

ويقول إن الحضارة الآسيوية التي توجد في أفريقيا يقصد بها الحضارة الآسيوية الأصلية التي توجد في جنوب غرب وغرب آسيا وليست الحضارة الهندية أو الصينية .

أما الحضارة الأخيرة وهي التي أطلق عليها فروبنوس اسم الحضارة الأفريقية فيقول إنها نشأت في أفريقيا على أثر الاختلاط والتشابك بين الحضارات الزنجية والزنجية — الملايوية والآسيوية .

ولعل أهم ما يميز آراء فروبنوس المبكرة هذه أنه ميز بين الحضارتين الزنجية والزنجية — الملايوية على أنهما حضارتا أخشاب في حين أن الحضارتين الآسيوية والأفريقية حضارتا جلود . وبعبارة أخرى النوعين الأولين من الحضارات الأفريقية تعيشان في مناطق الغابات ، أو السفانا الشجرية ويتكون اقتصادهما الأساسى من الزراعة ، على حين أن النوعين الآخرين تعيشان في مناطق الرعى الطبيعية في أفريقيا سواء كان ذلك شمال شرق القارة أو شمالها أو نطاقات السفانا الرعوية .

وأخيراً في الفترة ما بين أعوام ١٩٢١ و ١٩٢٩ يتابع فروبنوس أبحاثه ويعدل من آراءه عن الحضارة في أفريقيا ، وتكتمل صورة ذلك في أطلسه الأفريقى . Atlas Africanus وفي هذا يرى فروبنوس أن هناك حضارتين قديمتين Urkulturen هما الحضارة الآثيوبية والحضارة الحامية . وتفرعت عنهما أربع حضارات فرعية تاريخية هي :

- ١ - الارترية الشمالية .
- ٢ - الارترية الجنوبية .
- ٣ - السرتية (نسبة إلى خليج سرت) .
- ٤ - الأطلنطية .

وفي هذا التعديل الجديد نجد أن فروبنوس يدمج ما سبق أن ذكره عام ١٨٩٨ عن الحضارتين الزنجية وغرب أفريقيا في الحضارة الآثيوبية ، ويرى فروبنوس أن الحضارة الارترية الشمالية تظهر بوضوح في أثيوبيا وشمال أفريقيا أما الحضارة الارترية الجنوبية فتتركز في نطاق السفانا في جنوب القارة وخاصة في روديسيا حول حضارة مونوموتابا ومركزها زمبابوى . وعلى الرغم من انفصال موقع الحضارتين جغرافياً ، ووجود فاصل من حضارات أخرى فيما بينهما . مما يجعلنا نشكك في آراء

فروبنيوس ، إلا أنه يؤكد أن الحضارتين أصلاً حضارة واحدة يسميها الحضارة الإرتيرية الوسطى قبل أن تتفرع إلى فرعيها الشمالى والجنوبى .

أما الحضارة السرتية فتمثل عند فروبنيوس عناصر من الحضارة القديمة للبحر المتوسط دخلتها واندججت فيها مؤثرات حضارية من الشرق الأدنى . ثم تسربت هذه الحضارة جنوباً إلى السودان الغربى ، وغرب أفريقيا ، فأصبح أكبر مركز لوجودها هو تلك المنطقة الممتدة من مصب السنغال إلى بحيرة تشاد وجنوباً إلى دوالا وجبل الكمرون .

وأخيراً تنتشر الحضارة الاطلمنية — وهى أيضاً مكونات من عناصر حضارة البحر المتوسط القديمة — فى المنطقة الساحلية بين مصب السنغال ومصب النيجر .

هذه خلاصة لآراء فروبنيوس التى لا يقبلها سوى عدد من تلامذته نذكر منهم وعلى رأسهم الأستاذ A. Jensen^(١٠) .

برنارت أنكرمان B. Ankermann

وبعد أنكرمان فى البداية مرتبطاً ومتأثراً بآراء فروبنيوس ، ولكنه يعتمد اعتماداً كبيراً على دراسات وتحليلات جرابينر F. Graebner لحضارات البحار الجنوبية مما يؤدى به إلى الاعتقاد بوجود ست حضارات أولية فى أفريقيا هى :

(١٠) تخصص الأستاذ ينسن فى الدراسات الحضارية الإفريقية ونذكر من أهم مؤلفاته ما يلى :

Jensen, A., 1931-32, "Die Staatlich Organisation und historischen Überlieferungen der Barotse am Oberen Zambesi" Wurttemberg — 1936 "Im Land des Gada" Stuttgart. — 1959 "Altvolker Sud-Athiopiens" Stuttgart.

- ١ — الحضارة الزنجية التي تتفق مع أقدم حضارات أستراليا .
 - ٢ — الحضارة الغربية لأفريقيا التي تتفق مع الحضارة التي أطلق عليها جراينر اسم حضارة ما قبل الملايو وشرق بابوا . ولكنها في أفريقيا تختلف لوجود عناصر أحدث أخرى يحتمل أن تكون أصلا من أندونيسيا .
 - ٣ — حضارة تشابه تلك التي أسماها جراينر حضارة بابوا الغربية .
 - ٤ — حضارة السودان الغربي وتشابه مع حضارات الهند البعيدة (بورما — سيام) ولكن أنكرمان لا يعرف الأصل الذي نشأت عنه تلك الحضارة السودانية .
 - ٥ — الحضارة الحامية أو السامية القديمة في السودان وشرق وجنوب أفريقيا .
 - ٦ — الحضارة السامية أو العربية وتظهر في نطاقات الحضارة الحامية وإن كانت أحدث .
- ويرى أنكرمان أن الحضارة الزنجية هي بقايا الحضارة الأصلية للسلاات السوداء عامة قبل أن تهاجر شعوبها إلى أفريقيا غربا وجنوب شرق آسيا وأوشينيا شرقا .
- أما الحضارة الغربية الأفريقية فلا يعنى أصلا أنها تنوطن في الأقليم الغربي الجغرافي من أفريقيا بل يسميها كذلك لأنها الانتشار الغربي للحضارة الأفريقية التي تظهر في جزيرة غينيا الجديدة . ولهذا فإن منطقة دخول هذا النوع الحضارى كان أولا مدغشقر ثم منطقة مصب الزمبيزي . ويقول إن

(١١) انظر في قائمة الكتب الملحقه بهذا المقال تحت اسم انكرمان اهم ما ألفه خاصا بأفريقيا .

الاتصال ظل مستمرا فترة طويلة عبر مدغشقر ثم انقطع اتصال مدغشقر بالساحل الأفريقي المقابل وإن ظل اتصالها فترة أخرى بجزائر الهند الشرقية والملايو . ثم جاءت هجرات الجماعات حاملة الحضارة الجديدة الحامية من مركز ثانوى لها فى منطقة البحيرات العظمى . وأدى ذلك إلى طرد بقايا السكان حاملي الحضارة الأفريقية الغربية إلى نطاق الغابات غرباً حيث انعزلوا تماما فى تلك الأوطان الجديدة . وهنا يعود أنكرمان فيشير إلى أن هذه الحضارة تتوطن الإقليم الجغرافى الغربى من أفريقيا .

ولكى تتفق تلك الآراء فقد كان لابد على أنكرمان أن يؤكد أن منطقة شرق أفريقيا ومنطقة تنجانيقا على وجه الخصوص كانت عبارة عن المركز الخطير الذى تداخلت فيه الحضارات والموجات البشرية سواء تلك القادمة من الشرق عبر المحيط الهندى أو تلك القادمة من الشمال . وهو لهذا يجد بقايا عناصر حضارية تمتد إلى أصل الحضارات الزنجية والغربية الأفريقية والحامية إلى جانب خليط من هذه الحضارات مع عناصر حضارية سامية عربية فى منطقة ساحل شرق أفريقيا .

ويؤكد أنكرمان أن إقليم إثيوبيا الجغرافى هو أقل أجزاء أفريقيا أفريقية ومع ذلك فلم ينج من تأثيرات الاختلاط والتشابه نتيجة لوجود جيوب زنجية فيه . أما إقليم السودان الطبيعى فىرى فيه أنكرمان مشكلة المشاكل . فبين أعلى النيل وأعلى النيجر يعتقد أنكرمان بوجود حضارة متواحدة قديمة هى ما يسميها الحضارة السودانية القديمة . وعلى الرغم من تشابهها العام إلا أن توزيعها الجغرافى الشاسع قد أدى إلى وجود اختلافات نتيجة العلاقات المكانية . ومن ثم ظهرت ارتباطات حضارية كبيرة مع مصر وبدرجة أقل وفى تاريخ أحدث مع الهند . ثم خضعت هذه الحضارة بعد ذلك للحضارة الإسلامية وعديد من عناصر الحضارة فى شمال أفريقيا وفى آسيا . وقد وفدت تلك العناصر الحضارية إما عن طريق التوبة

وكردفان ودارفور إلى تشاد وإما عبر دروب الصحراء الكبرى العديدة التي
تصل البحر المتوسط بالسودان الغربي .

أما البانتو فيعتبرهم أنكرمان أما أنهم ممثلين للحضارة الغربية الأفريقية
أو حضارة الهاميين في شرق وجنوب أفريقيا . ويقول : إن حضارات
البانتو تماثل حضارات زنوج السودان . فقد تأثرت بالاختلاط فيما بينها ،
ثم تأثرت بالاختلاط مع عناصر الحضارة الآسيوية لدرجة أنها قد تحولت
وتبدلت بإضافة عناصر جديدة لدرجة لا نستطيع معها أن نشاهد لها شيئا
في أفريقيا . هذا الحل الذي يجده أنكرمان لحضارة البانتو يجعل من
مشكلة البانتو الحضارية معضلة غير قابلة للحل .

وإلى جانب هذه الآراء يرى أنكرمان أن الأقزام والبشمن سلالة واحدة
وأن الهوتنتوت هم سلالة خليطة بين البشمن والهاميين أو السامين القدماء ،
وأن هذا الاختلاط قد حدث في المنطقة بين نهري الزمبيزي واللبوبو وأعلى
الأرجح إلى الشمال قليلا .

وآراء أنكرمان هذه وإن لم يأخذ بها أحد سواه إلا أنها عاشت في صورة
معدلة ومطورة في آراء تلميذه الأستاذ باومان كما سيبحث في ذكره فيما بعد .
ويكاد يتفق معظم الباحثين على أن آراء باومان بالنسبة للحضارات الأفريقية
آراء مقبولة ومن ثم فإن بعض الفضل في نجاح باومان لا بد وأن يعود إلى
الأستاذ أنكرمان .

فاهام شميت^(١٢) W. Schmidt

لم يتكلم شميت عن أفريقيا نتيجة دراسة عقلية ، ذلك أنه كان من النوع

(١٢) انظر في قائمة الكتب الملحق بهذا المقال تحت اسم شميت أهم
ما ألفه خاصة بمشكلة الأقزام في العالم .

من الدارسين الذين يطلق عليهم أساتذة الدراسة النظرية . ومن ثم فإن شमित لم يتخصص في دراسة الحضارة الأفريقية وحدها ، بل كان يعالج الحضارات العالمية ككل . ودوره في الدراسات الأفريقية وإن كان محدوداً بعدد من الموضوعات منها دراساته الكلاسيكية « لأصل فكرة الإله » ، إلا أن ذلك قد أثر على آرائه الخاصة بالحضارة الأفريقية . وأهم ما قاله شमित في ذلك نظريته الخاصة بالأقزام . فقد قال إن الأقزام في أفريقيا (وهو يدرج تحت مصطلح الأقزام كل من أقزام الكنغو وشعب البشمن في جنوب غرب أفريقيا) يتحدثون في الأصل والنشأة مع أقزام أوشتنيا وجنوب شرق آسيا . وهذا القول إن كان ينطبق على أقزام الكنغو وأقزام الشرق إلا أنه لا ينطبق على البشمن إطلاقاً . وتطرق شमित من أبحاثه عن الأصول الساللية للأقزام إلى القول إن حضارة الأقزام في الكنغو تمثل الصورة الأصلية للحضارات الأولى للإنسان . أما أقزام آسيا فقد تأثروا بعدد من العناصر الحضارية أثناء هجرتهم من موطنهم الأصلي في الكنغو إلى أوطانهم الحالية ، وكذلك تأثر البشمن بعناصر غريبة أثناء تحركهم جنوباً .

وعلى الرغم من أن أحداً لا يقبل آراء شमित في الوقت الحاضر ، إلا أنه نشر كلامه هذا عام ١٩١٠ ، وبذلك كان أول من بدأ مشكلة الأقزام في الدراسات الأنثروبولوجية ووجه إليها من العناية ما جعل عدداً من الباحثين أن يتخصصوا فيها نذكر من أهمهم تليداه الأستاذ باول شبيستا P. Schebesta والأستاذ فان بولك Gaston Van Bulck وعلى هذا فإن شमित ، وإن لم يوفق في آرائه ، فإنه قد سد النقص الذي تركه كل من فروبنيموس وأنسكرمان ، وذلك بتوجيه الأنظار إلى مشكلة الأقزام .

هاري جونستون^(١٢) H. Johnston

على الرغم من أنه من الصعب القول إن جونستون قد تأثر بأراء كل من فروبنوس وأنكرمان إلا أن ذلك يبدو أقرب إلى الواقع . ذلك أن أبحاث جونستون محدودة بعض الشيء في مناطق معينة من أفريقيا ، خاصة شرق أفريقيا وأجزاء من غرب أفريقيا . وفي عام ١٩١٣ قال جونستون إن أقزام الكنغو عبارة عن نوع بدائي من الزوج قصرت قامتهم ، وأنهم ربما كانوا أقدم عناصر الزوج التي غزت أفريقيا . كذلك يقول أن البشمن نوع آخر من أشباه الزوج تدهوراً جسمياً وتخصصوا في صفاتهم الجسدية التي كسبوها . وقد صادفوا أثناء هجرتهم إلى جنوب أفريقيا سكاناً أقدم منهم فيهم تقارب طفيف بالقوقازيين هم مايسمون ستراندلوربرز Strandloopers أما الهوتنتوت فهم عنصر فيه شبه طفيف بالهاميين القوقازيين ، وأن هجرتهم جنوباً قد حدثت قبيل هجرة البانتو وتعميرهم جنوب أفريقيا .

أما العناصر الزنجية فيرى جونستون أنها أقدم سكان القارة ، وأنها كانت تحتل الاقليم العريض بين الصومال والسنغال ويحدها شمالاً الصحراء الكبرى وجنوباً حافة غابات الكنغو الاستوائية عند نهر الأوبانجي . في هذه المساحة الشاسعة يرى جونستون أن الزوج قد انقسموا في صفاتهم الجسدية إلى قسمين : زوج النيلين في الشرق ، وزوج الغابة في الغرب . أما زوج النيلين فقد تخصصوا في حياة السفانا المكشوفة المستنقعية في حين أن زوج الغابة قد تشعبوا وتكون منهم الأقزام والبشمن .

وقد وقع زوج النيلين تحت تأثير حضارى كبير من جانب الهاميين الذين يجاورونهم ، وإن كان هذا التأثير قد حدث في مرحلة متقدمة وبالتالي ساهم في إعطاء النيلين شكلهم الحضارى الراهن .

ويرى جونستون أن منطقة بحر الغزال الحالية وأعلى النيل تم فيها تكون أسلاف البانتو ، ومنها تحركوا جنوباً عبر منطقة البحيرات العظمى

التي أصبحت بعد ذلك مركزاً هاماً لتكوين البانتو وانتشارهم في بقية القارة. ويرى جونستون أن أفريقيا تعرضت لعدد من الهجرات البشرية والحضارية من جنوب غرب آسيا ، وأن مصر قد استقبلت معظم هذه الهجرات في عصور ما قبل التاريخ . وتصبح مصر في رأيه مركزاً هاماً تنتشر منه حضارات آسيا إلى السودان وأفريقيا الزنجية . أما الهجرات الفينيقية والرومانية فقد أثرت على شمال أفريقيا ، في حين أن الهجرات العربية الإسلامية كانت واسعة النطاق فشملت شمال وشرق القارة. وأخيراً فإن التأثير الحضارى والبشرى القادم من الملايو وأندونيسيا قد تحدد بجزيرة مدغشقر دون الساحل المقابل لها . ويستند جونستون في افتراضه ذلك إلى أن أثر الملايو لم يصل إلى جزائر كومورو أو زنجبار وبالتالي لم يصل إلى ساحل موزمبيق أو شرق أفريقيا .

ونظريات جونستون الخاصة بالأقزام والبشمن لم تعد مقبولة ، ولكن آراؤه في مجموعها تكون بدايات طيبة للصورة العامة التي أخذتها الدراسات الأفريقية في مجالى السلالة والحضارة بعد ذلك .

النظرية الحامية

سليجمان^(١٤) C. Seligman

بعد الأستاذ سليجمان من الباحثين الذين كان لهم دور هام في الدراسات الحضارية الأفريقية ، بل إنه قد أثر على عدد من الدارسين اللاحقين له نذكر منهم^(١٥) G. Lidblom ، E. Brauer T. Irtam^(١٦) G. Murray

(١٤) انظر في قائمة الكتب الملحقه بهذا المقال تحت اسم سليجمان أهم مؤلفاته .

(١٥) من أهم ما كتبه الاستاذ Irtman في الموضوعات الافريقية الكتاب التالي :

Irtam, T., 1944. "The king of Ganda. A study in the Institution of sacral Kingship in Africa" Stockholm.

(١٦) للاستاذ لندبلوم كتابات عديدة معظمها يتناول دراسة الحضارة المادية الافريقية . ومن أهم مؤلفاته :

Lindblom, G. 1916. "The Akamba" Upsala.

H. Wieschoff . كما أن آراؤه كان لها صدى فى أبحاث فروبنوس الحديثة وباومان ومعظم الدارسين الأحدث منه لأفريقيا . هذا الأثر الكبير لأبحاث سليجمان ترجع إلى أنه كان أول من درس وحلل الكثير من الأبحاث الحقلية والكتابات التى كتبها من سبقوه عن أفريقيا ، إلى جانب أبحاثه الخاصة فى أفريقيا ، وخاصة منطقة النيلين فى أعالى النيل .

وقد انتهى سليجمان إلى عدد من الآراء الخاصة بنشأة عدد من سلاطات أفريقيا ، كان أهمها أن النيلين هم خليط بين الحاميين وزنوج الغابة ، فى حين أن الباتو نتيجة خليط بين زنوج الغابة والحاميين القدماء . ويحدد سليجمان الصفات الأساسية للزنجى ويصف موطنه على أنه يشمل ماسبق أن ذكره جرونستون : من السنغال حتى أعالى النيل ومن الصحراء إلى الحافة الشمالية للغابات الاستوائية . ويحدد الحاميين ويقسمهم بين الشرق والشمال ويدرج الاختلاط بينهم وبين الزنوج والباتو حتى يصل إلى أنصاف الحاميين فى شرق أفريقيا . وأخيراً يصف الهجرات السامية العربية ودورها الحضارى فى شمال وشرق القارة .

وعلى الرغم من الجهد الذى قام به سليجمان فى تصنيفاته السلافية فى أفريقيا إلا أنه من التعسف أن نقول إنه قد قسم أفريقيا إلى سلاطات معتمداً على الخصائص الجسدية . بل إننا نرى أثر التقسيمات اللغوية والحضارية تلعب دوراً خطيراً فى أبحاث سليجمان بحيث أننا نرى نتائج مختلفة تماماً لأقسام السلالة والجنس فى أفريقيا عند الباحثين الجدد المتخصصين فى علم الأثروبولوجيا الطبيعية .

إذن دور سليجمان الحقيقى يكمن فى آرائه عن الحضارات الأفريقية . وهو لم يول كل حضارات أفريقيا من الاهتمام مثلما أولى الحضارة الحامية من دراسة وبحث وتقصى وفلسفة . ومن ثم فإنه يمكننا فى إيجاز أن نقول

إنه لا يذكر سليجمان إلا ويذكر معه نظريته عن الحضارة الحامية القديمة على أنها مصدر الإلهام والتطور والتشابه في الحضارات الزنجية والبانووية في بقية القارة . هذا الاتجاه إلى تضخيم الأثر الحامى في أفريقيا من جانب سليجمان ربما كان رد فعل لاتجاه جونستون إلى تضخيم أثر مصر في الحضارات الأفريقية . وقد قال سليجمان في ذلك :

"...I hold that many common customs are but expressions of the wide diffusion of old Hamitic blood and ideas". (١٧)

وعلى الرغم من رأى سليجمان الخاص بالأثر الحامى السابق للمصريين وتشككه في الأصل المصرى لكثير من المظاهر إلا أنه كان دائماً يعود فيقول إن هذه العناصر الحضارية قد انتشرت عن طريق مصر مما يعطى صورة مترددة بين الأصل الحامى والأصل المصرى لكثير من هذه العناصر الحضارية ذات الانتشار الواسع في أفريقيا . مثال ذلك أنه يقول : إن تشابه عصي الرمي ، بين قبائل الأنجسنا ودارفنج ومصر واضحة جداً وربما كان الاحتكاك السبب الرئيسى في نقلها . ولكن انتشار هذا السلاح يجعل من المحتمل الاعتقاد أنه سلاح حامى قديم قد انتشر من مصر إلى أثيوبيا ، (١٨) وفي المصدر نفسه يعتقد أن نوعاً من أنواع الفخاخ المسمى عجلة الصيد Spiked wheel-trap الموجودة بين العباددة واللانجو والأتشولى والنوير والناندى والشلوك والتركانا ، وكانت مستعملة في مصر القديمة ، من تراث الحضارة الحامية . كذلك ذكر عادة ثنى قرون الماشية التى تنتشر بين النوير والدينكا والشلوك ووجدت في مصر في الأسرة الخامسة ، هذا بجانب العاطفة الخاصة نحو الماشية والتي تصل إلى درجة التقديس . ومن المظاهر الحضارية التى ذكرها أيضاً وشبهها بالحضارة المصرية ، عبادة الشمس بين قبائل البرون على حدود

Seligman, C. G., 1934. "Egypt and Negro Africa" London, (١٧)
P. 8.

Seligman, C. G., 1932. "Egyptian Influence in Negro (١٨)
Africa" P. 457.

أثيوبيا. وحفلات قتل الملك المقدس وتجديد مدة حكم الملك التي شبهها بحفلات «السد» المصرية. والطهارة الفرعونية المنتشرة بين دنكا الريك . هذا بجانب وجود الهارب الصغير المسمى Kundi بين الزاندى والذي يشبه الى حد كبير مثيله في مصر القديمة .

هذا التردد في آراء سليجمان بين الأثر الحامى القديم والأثر المصرى يحاول أن يعلله مرة على أساس النشأة المزدوجة للظاهرة الحضارية المتشابهة — أى إمكان نشوء الظاهرة الحضارية فى مركزين منفصلين ، ثم يعود فيقول إن ذلك التشابه يرجع إلى الأثر الحامى المشترك فى أجزاء كثيرة من أفريقيا .

وفى مرة أخرى يحاول سليجمان تفسير التناقض بين نظريته الحامية وفكرة التشابه العديد مع مصر الفرعونية فيصل إلى حل وسط كما جاء فى قوله ^(١٩) : «إن مصر فيما قبل الأسرات هى أقدم وأحسن مثل للحضارة الحامية القديمة :

“...Hamitic Stock of which the pre-dynastic Egyptians are the oldest and best known representatives”.

النظرية السودانية (°)

فيلى شيلده ^(٢٠) W. Schilde

على الرغم من أن فيلى شيلده لم يعمر طويلا (ولد عام ١٨٩٤ وقاتل فى خلال

Seligman, C. G., 1934. Ibid P. 57.

(١٩)

(٢٠) راجع فى قائمة الكتب الملحقه بهذا المقال تحت اسم شيلده اهم

مؤلفاته .

(*) ليس المقصود جمهورية السودان وانما الحضارات التى تنتشر فى اقليم السودان الطبيعى الذى يمتد من حوض السنغال الى الهضبة الحبشية .

الحرب عام ١٩٤٢) إلا أنه ترك عدد من الأبحاث عن أفريقيا كلها كانت تنبئ عن فكر ثاقب ، ودراسات عميقة ، وإن لم يكون فكرة شاملة عن الحضارات الأفريقية كمثل . وقد كان موضوعه المحجب دراسة الحجرات الحضارية والبشرية . ومن أهم الأبحاث في هذا الموضوع مقاله المعنون ، « العلاقات الحضارية في السودان » سنة ١٩٢٩ .

“Ostwestliche Kulturbeziehungen im Sudan”.

وقد استخلص شيلده أن عادة القتل المقدس للملوك والزعماء الدينيين السياسيين التي تظهر في عدد من الشعوب الأفريقية عادة ترجع إلى الحضارة السودانية ، وليس إلى الحضارة الحامية القديمة كما اقترح سيليجمان . ذلك أن هذه العادة تتوزع أكثر بين الجماعات الرنحية التي تعيش على زراعة الفأس وبالتالي فإنها — بناء على نظرية فريزر — ترتبط بخصب الأرض الزراعية ووفاء المحصول . أما بالنسبة للرعاة الذين ينتشرون في إقليم السودان فإن هذه العادة لا تظهر بينهم . كذلك يقول إن عادة قتل الملوك بين الأسر الحاكمة الحامية الأصل في إقليم البحيرات العظمى والكنغو ليست حامية ، إنما أخذها الحكماء عن الشعب الذين يحكمونه — وهم أصلاً الرنوج المزارعين .

وصحيح ما قاله شيلده عن اقتصار توزيع عادة قتل الملوك على المزارعين الوثنيين في الوقت الحاضر في إقليم السودان . ولكنه تناسى أوفات عليه أن الرعاة الحاليين في إقليم السودان إما عرباً مسلمين ، أو رنوج السودان الذين أسلوا وتأثروا بالحضارة والمفاهيم الإسلامية — وكلها تنافي تماماً اعتقادات التجسد الإلهي في الملك الحاكم — وهو الأساس الذي يبنى عليه تقليد قتل الملك قتلاً مقدساً . وهناك شواهد تاريخية عن قتل الملك ، في مملكة مروي والنوبة قبل أن تتحول إلى الإسلام . فالراجح إذن أن التفسير على أساس تحليل الوضع الراهن فقط ليس كاملاً وقد يؤدي إلى أخطاء كما وقع ذلك لشيلده .

ولكن يبدو أن شيلده يعود ثانية ليقول إن عادة قتل الملوك تنتشر في

الاماكن الهامشية الانتشار مؤثرات الممالك الشرقية . وهو يحاول في هذه الجملة أن يفسر ظهور هذه العادة في أفريقيا ، وجنوب الهند معاً فيعيد أصلها البعيد إلى دول الشرق القديمة فيما بين دجلة والنييل في عبارة مباشرة خشية الزلل .

وهكذا نرى أن شيلده يرفض النظرية الحامية ، ويحبذ نظرية جديدة عن الأصل السوداني لعادة هامة . ثم يعود في مواربة ليتكلم عن انتشار حضارى من دول الشرق القديمة الذى تمثله في أفريقيا مصر الفرعونية أو فيما قبل الأسرات .

هيرمان باومان^(٢١) H. Baumann

بعد باومان من العلماء الألمان الذين كان لهم في الفترة الحديثة دوراً هاماً في الدراسات الحضارية الأفريقية ، أدت إلى تغيرات جذرية في دراسة اثنوجرافية وأثروبولوجية أفريقيا . وأهم ما نشره كان عام ١٩٣٤ . ثم عام ١٩٤٠ . وهو في عام ١٩٣٤ يقول إن هناك الحضارات السبعة التالية :

- ١ — الحضارة القرمية .
- ٢ — حضارة الصيد في نطاق الأعشاب الفقيرة (السكان الأورو - أفريقيين أو البشمن) .
- ٣ — الحضارة الزنجية القديمة . ويسميا أحيانا الحضارة الأفريقية القديمة (وهى تشابه حضارة السودان القديمة في تصنيف أستاذه أنكرمان) .
- ٤ — حضارة غرب أفريقيا وهى مكونة من تداخل عناصر حضارية عديدة .

(٢١) راجع في قائمة الكتب بهذا المقال تحت اسم باومان أهم مؤلفاته.

- ٥ — حضارة الحاميين الشرقيين ويمثلها الرعاة في شرق أفريقيا .
- ٦ — حضارة الحاميين الشماليين وهي خليط بين حضارة البحر المتوسط القديمة وعناصر حضارية من الشرق الأدنى .
- ٧ — الحضارة السودانية الحديثة وهي تتمثل في أبرز صورها في نطاق السفانا الشمالية والجنوبية .
- وفي عام ١٩٤٠ أعاد باومان النظر في آرائه بناء على تكامل معلومات عديدة ودراسات وفيه ولكنه لم يغير من أسماء الحضارات التي ذكرها عام ١٩٣٤ . وتتلخص أهم نتائج أبحاثه العديدة في النقاط التالية .
- هناك تشابه غير عادي واتفاق شبه كامل بين حضارة الأقزام والحضارة الزنجية القديمة .
- يؤكد باومان أن الحضارة الزنجية القديمة هي أقدم حضارات أفريقيا وتكون الأساس الذي أخذت منه حضارة غرب أفريقية والحضارة السودانية الحديثة .
- ويؤكد أن النوبيين هم زنوج أفريقيا القدماء واسكنهم اختلطوا بشدة مع الحاميين الأثيوبيين .
- أما الهوتنتوت فهم خليط بين الأورو — أفريقيين (البشمن) والعناصر الحامية الشرقية .
- ويقول إنه من الصعب أن نميز في إقليم السودان بين عناصر الحضارة السودانية الحديثة وعناصر حضارة البحر المتوسط القديمة ، وتلك العناصر التي تستمد أصولها من الشرق الأدنى القديم وأخيرا المفردات والتركيبات الحضارية العربية الإسلامية . فهو يرى عن حق أن كل هذه العناصر

والطبقات الحضارية قد تداخلت معا مكونة حضارة متناسقة ومتفاوتة في آن واحد .

— ويؤكد باومان أخيرا أن هذا الخلط الشديد الذي حدث في أقليم السودان له نظير أشد تداخلا في النطاق الساحلي لشرق أفريقيا حيث اختلطت عناصر حضارية أفريقية مع عناصر عربية وفارسية وهندية وعناصر أخرى مشتقة من الملايو وأندونيسيا .

وهكذا نرى أن باومان — على الرغم من تأثره بأنكرمان وفروبنوس وبعض الشيء بسليجمان ، إلا أنه وفق فعلا إلى حل عدد من المشكلات الهامة في الدراسات الأفريقية . وقد أفادت هذه الحلول كثيرا مما ثبت صحتها حتى الآن .

وعلى الرغم من أن باومان يجمع العديد من العناصر الحضارية في النطاق الزنجي والسوداني من أفريقيا ويشبها بما كان في الحضارة المصرية القديمة إلا أنه يعود في النهاية فيرجع عدد منها إلى الحضارة السودانية كما ذكر شيلده . ومن أهم الأمثلة على ذلك أنه يرفض نظرية سليجمان عن الأصل الحامي لفكره القتل المقدس لذلك ويربطها فقط بالحضارة السودانية ولكن باومان ينسى أنه قد وصف الحضارة السودانية بأنها اشتراك معقد لعدد من الحضارات منها ماهو مرتبط بالشرق الأدنى ومنها ماهو مرتبط بحضارة البحر المتوسط . فموقف باومان في ذلك موقف يشابه موقف سليجمان حينما يتردد كثيرا بين الأصول المصرية لعدد من الظواهر الحضارية والأصول التي يفترضها . الفارق الوحيد أن سليجمان يعود إلى النظرية الحامية وباومان وشيلده يعودان إلى النظرية السودانية .

النظرية المصرية

سبق أن أشرنا إلى أن معظم الكتاب الذين حاولوا تفسير التشابه

الحضارى لعدد من العناصر فى أفريقية فى صورة نظرية أو أخرى لم يستطيعوا أن ينكروا فى كتاباتهم العديدة وجود التشابه الكبير بين هذه العناصر الحضارية والحضارة المصرية القديمة . ونستعرض فيما يلى آراء عدد من الباحثين بناء على مشاهداتهم لهذه العناصر التى لاحظوا أوجه الشبه بينها وبين الحضارة المصرية القديمة .

ميك (٢٢) C. K. Meek

لاحظ التشابه فى نواحى الحضارة الاجتماعية والمعادية والمعتقدات بين زنوج نيجيريا ومصر القديمة . فذكر أن ديانة قبيلة جيبو Jibu — وهى إحدى قبائل الجوكون ذات الحكم الملكى المقدس تدور حول عبادة الشمس ، فلهيهم الإله الأعلى Shido وهو وإله الشمس انيوانو Anyunu شىء واحد ، وتعمل له المراسيم الدينية خصوصا مراسيم الشمس التى تقام سنويا قبل بذر التقاوى للزراعة . وتقام الحفلات عند شروق الشمس وغروبها حيث يقوم الكاهن ومساعدوه بتقديم القرابين للإله فى هيكله .

كذلك يقول ميك إن مام Mam أحد آلهة الجوكون هو تحريف للإله Maat المصرى ، ويرتبط هذا الإله بالخلقة وهو حاكم الآموات فى العالم السفلى . ثم يعمم ميك فىقول إن عبادة الشمس منتشرة فى جهات كثيرة فى غرب أفريقية حيث يسمى إله الشمس Shui وهو شبيه بالإله المصرى القديم شو ^vsw .

ويذكر ميك أنه يوجد أيضا تقليد « فك قماش الفم » الذى يوازى تقليد « فتح الفم » عند المصريين opening of the mouth

تالبوت^(٢٢) P. A. Talbot

درس تالبوت قبائل جنوب نيجيريا مثل الأيبو والأيبيبو والبوربا وغيرها ولاحظ الكثير من المفردات الحضارية التي شبهها بالحضارة المصرية القديمة ونذكر منها مايلي .

(١) عمل المقابر ذات الأنفاق والسراديب والتي تستعمل حاليا لدفن الزعماء وعليه القوم .

(٢) قتل زوجات وخدم وحيوانات الزعيم الميت ودقها معه ومع ممتلكاته الخاصة .

(٣) تخفيف جسد الميت بالدخان كما في الأيبو كطريقة لتحنيطه .

(٤) لف الجسد في نسيج من لحاء الشجر مما يعطى فكرة المومياء .

(٥) وضع الجثمان على ظهره وذراعيه فوق صدره وأحيانا توضع في يده عصا

(٦) يرسل الأيبيبو مائدة قرابين يوميا إلى المقبرة حتى نهاية مراسيم الدفن .

(٧) يقيم الأيبيبو كوفا صغيرا يسميه تالبوت بيت الكا Ka house ويوضع فيه تمثال يمثل الميت جالسا فوق مقعده كما في الحياة الدنيوية وبملابسه الكاملة وفوق رأسه قبعة رمز السلطة وتوضع أمامه مائدة القرابين .

باومان H. Baumann

أما الأستاذ باومان Baumann فقد ذكر عدد من العناصر الحضارية

الشبيه بالحضارة المصرية السائدة في أفريقيا الزنجية نذكر منها مايلي :

١ — مجمع الاله والتفكير الكوزمولوجى عند اليوربا يشابه كثيراً مصر الفرعونية .

٢ — تعتقد جماعات Mungo-Kundu في شمال الكونغو بوجود قوى غير مادية تسمى Elima يمتلكها كبار السن في العشيرة ويمكن لغيرهم أن يمتلكوها اذا اجتهدوا وترتبط هذه القوى بكل الذكاء ونواحي النجاح والقوة . هذه القوى تتشابه كثيراً مع فكرة « الكا » عند الفراعنة وتساوى الطاقة التي تهبط من الأسلاف الى الأحفاد والأبناء . وتختلف الفكرة الراهنة عند المونجو عما كانت عليه عند المصريين في أن القوى غير المادية قاصرة على كبار السن بينما لكل شخص في مصر « كا » خاصة به .

٣ — يستخدم المونجو — كوندو التوابيت في الدفن ، كما يصنعون تماثيل من الصلصال لتوضع مع الأموات في القبور — مما يعيد إلى الأذهان بعض عقائد الدفن عند المصريين القدماء .

٤ — عند المالبانكة في النيجر الأعلى ما يسمى بالروح الثانية ، وهي تصحب الشخص منذ مولده حتى وفاته ثم تنتقل بعد ذلك إلى تماثيل المتوفى . وتحتل الروح الثانية من الشخص أثناء النوم أو الوفاة . وهذه الروح تساوى الطاقة الحية أو طاقة الحياة . وإذا صادفت الروح حادثاً سيئاً صادف الجسم شيئاً سيئاً هو الآخر . ومثل ذلك نجده أيضاً بين سكان الفولتا العليا . فهناك روح تحرس الشخص طوال حياته تسمى Nyama عند قبيلة Bobo ، وتسمى Sera Segera عند قبيلة Nankanse .

٥ — تنتشر في مناطق الفولتا العليا أيضاً وفي مناطق ساحل الأطلسنطى من غرب أفريقيا عبادة الثعبان ، ويرتبط ذلك بالخصوبة ، وإن كان الثعبان يمثل الشيطان ويشابه ذلك العداء في مصر بين الإله رع والثعبان .

٦ - عند المازاي في شرق أفريقيا إله أسود طيب وإله أحمر شرير يتقابلان خلال العواصف الرعدية . وفي مصر الفرعونية إله الشر «ست» يرمز إليه باللون الأحمر كما أن اللون الأسود يغلب على الحيوانات المقدسة.

تاوونج^(٢٤) G. Thausing .

ذكرت الأستاذة جرتروود تاوونج أنه في نطاق الحضارات السودانية الجديدة في وسط وغرب إقليم السودان الطبيعي مركبات حضارية مرتبطة وتتشابه مع الحضارات العليا ، تماماً كما هو الحال في حضارات شرق أفريقيا عند الكافا في الحبشة وباتو البحيرات في أوغندا التي توصف دائماً بأنها مستودعات للحضارة المصرية القديمة .

ففي حضارات السودان الجديدة نجد دائماً حاكم مقدس ، وزواج الملك بشقيقته ، والدور الهام للملكة الأم ، والقتل المقدس للملك ، والنار المقدسة التي ترتبط بحياة الملك بل تمثلها . والمحرمات العديدة على الملك ، والفوضى التي تدب بعد وفاة الملك أو ما يسمى مرحلة الانتقال بين وفاة الملك والفترة التي تنقضي حتى يتم لخليفته ارتقاء العرش .

وكما أشياء نلاحظها بطرق مختلفة في مصر الفرعونية : ألوهية الفرعون ، زواج الشقيقات في البيت المالك ، مركز الملكة الأم .

أما حفلة الحب سد hb-sd التي سجلت على المعابد المصرية فقد قيل إنها أصلاً كانت تعني قتل الملك قتلاً مقدساً ثم تحولت بعد ذلك إلى أن أصبحت تجديداً لحكم الملك كلما انقضى عليه في الحكم عدد معين من السنين .

(٢٤) راجع في قائمة الكتب بهذا المقال تحت اسم تاوونج »

كذلك النار المقدسة تمثل حياة الفرعون ولو أن Pr-Nsr « بيت اللهب » ،
في عقائد الدلتا كانت ترتبط بالحياة القديمة أو الآلهة التي تنفث اللهب .
كذلك نعرف في مصر القديمة وصف الملك بأنه النار Der König, das
Feuer zu seinerzeit ولهذا نجد في كتابات الاهرامات أن الملك هو
اللهيب الأحمر ، وأنه جاء من جزيرة النار ليحل العدالة محل الظلم . كذلك
عند وفاة الملك كان يقال : أنظر إلى اللهب قد صعد إلى السماء ... ، والنار
المقدسة التي لا تنطفئ إلا عند وفاة الملك ظاهرة شائعة بين عدد كبير من
القبائل الأفريقية .

وعلى الرغم من أن الأستاذ تاوزنج توافق الأستاذ باومان على فكرة
الأصل الحامي للتشابه بين مصر وبقية أفريقية ، إلا أنها تعود فتؤكد أنه
لم يحدث أبداً في أفريقيا مثيلاً لمصر غير مصر واحدة .

بيبر^(٢٥) F. Bieber

يقول إن الملك في كافا Kaffa يسمى Heqo وهو يساوى عند
المصريين اصطلاح hk بمعنى الملايين اللانهائية من طبقات الجو . ولكن
الأستاذ تاوزنج تقول إن هكو عند كافا يساوى hkz عند الفراعنة وهي
تساوى حاكم .

أما الأستاذ جيفريز^(٢٦) M. D. W. Jeffreys فقد بنى حكمه على التشابه بين
مصر الفرعونية والجماعات شبه البانتوية والزنجية من دراسته لنظام الحكم
الثنائي أو الحكم المزدوج في قبائل اليوروبا والايبو .

(٢٥) راجع في قائمة الكتب بهذا المقال تحت اسم بيبر

(٢٦) راجع في قائمة الكتب بهذا المقال تحت اسم جيفريز

روسكو (٢٧) J. Roscoe

كتب روسكو عن قبائل أوغندا وذكر الكثير من المظاهر الحضارية
التي يشهدها بالحضارة المصرية فقد لاحظ النظام الملكي المقدس بما فيه من قتل
أخوة الملك الحاكم عندما يتولى العرش وقتل أية واحدة من بناته إذا
تزوجت أو أنجبت طفلا . كذلك المركز الممتاز للملكة والوالدة والملكة
الأخت ، فكل منهما بلاطها الخاص ووزرائها وموظفو البلاط مماثلين
زملائهم الذين في خدمة الملك سواء في اللقب أو في اختصاص العمل .
كذلك المراسيم والطقوس الكثيرة الخاصة بالملك في حفلات الدفن حيث
تحفظ الجثة ويقدم الرعايا الملابس المصنوعة من لحاء الشجر قرابين للملك
الميت ، ويقتل أربع من زوجاته وخدمته الخمسة ومئات من العبيد
الأسرى . ويذكر روسكو أن الملك الحاكم يقوم بزيارة قبر والده ويقدم
القرابين البشرية لروح أبيه وذلك مرة خلال حكمه .

ومما ذكره روسكو أن كل ملك يحتفظ بالنسر كطوطم له بجانب
طوطم العشيرة . وذلك على الرغم من عدم وجود عشيرة النسر . كما لاحظ
تقليد رمى الأمم Shooting the nations التي يقوم بها ملك الباجندا في
حفلات تنويره حيث يقذف السهام على الأمم المجاورة .

لينتون (٢٨) R. Linton

ذكر رالف لينتون أن الحضارات الأفريقية الزنجية فيها عناصر حضارية
من مصر وساحل البحر المتوسط ، مستنداً إلى العلاقات التجارية المصرية
القديمة مع القبائل الزنجية في أعالي النيل منذ ٢٥٠٠ ق . م على الأقل ، كما

أشار إلى فتح المصريين لبلاد النوبة واحتلالها في عهد الأسرة الثامنة عشر ١٥٧٠ — ١٢٠٠ ق . م واتخاذ النوبيون عبادة آمون رع المصرى والحضارة المصرية عموماً . ثم هروب كهنة طيبة إلى نباتا عندما استقر الليبيون في مصر ، وزيادة نشر الحضارة المصرية هناك .

وبناء على هذا فإن لينتون يعتقد أن العناصر الحضارية دخلت أفريقيا الزنجية عن طريق السودان النيلي . ثم هو يذكر الكثير من هذه العناصر مثل انتشار فكرة ألوهية الملك الذى يعتمد رخاء البلاد وسعادتها على قوته ، وعادة زواج الملك بأخته وهى العادة التى كانت منتشرة فى كثير من ممالك وسط أفريقية وتدل دلالة قوية على الصلة بمصر ، وطبقاً لهذا النظام كانت على الملكية واجبات ولها امتيازات ومركز وثروة تشبه ما كان للملك « وهذه العادة متبعة فى قبائل الباهيا فى أوغندا .

كذلك يشير إلى أن الديانة فى قبيلتى اليوربا والأشانتى بما فيها من نظام كهنوتى متقن وآلهة متعددة يعبد كل منها على حدة ، وحيوانات مقدسة تشبه ما كان فى ديانة مصر . كذلك فإن الأشانتى يعتقدون فى وجود قرين روحانى يزور القبر بعد الموت ويقدمون له القرابين كما كان يفعل المصريون الذين كانوا يعدون قبورهم من أجل راحة الـ « كاه » . ويقول لينتون إنه مما يزيدنا إيماناً بوجود هذه الصلة القديمة أن الأشانتى يطلقون على هذا القرين اسم « كرا » .

ولكن الأستاذ لينتون بعد أن ذكر الكثير من العناصر المتشابهة بين مصر وأفريقية الزنجية نجده متأثراً إلى حد كبير بالأستاذ سليجمان عن الأصل الحامى لهذه المظاهر حيث يقول . . هذه الأشياء التى ذكرناها وغيرها من العناصر الأخرى التى توحى بأثر مصر نراها موزعة توزيعاً غير منتظم ولهذا يصعب علينا تفسيرها على أساس انتشار التأثير المصرى . ويبدو من الأرجح أن وجودها فى كل من مصر وأفريقية الزنجية كان نتيجة لتطور

مستعمل في كل منهما بعد أن تفرعا من أصل واحد ، من حضارة حامية قديمة .

هيرشبرج^(٢٩) W. Hirschberg

حدد فالتر هيرشبرج أهم العناصر الحضارية المصرية القديمة الموجودة في الممالك الزنجية فيما يلي :

١ - إطالة الجمجمة إلى الخلف - هذا التشويه يوجد أقدم نموذج له في تمثال أخناتون الذي يعود الى ١٣٧٠ ق . م - هذه الظاهرة توجد بين الطبقات الحاكمة في كثير من القبائل الأفريقية في الجزء الغربي من وسط أفريقيا مثل أنجولا وتظهر بوضوح بين قبائل المانجبوتو . وتحدث هذه الإطالة بواسطة ربط الرأس بلفائف من الأقشة في سن الرضاعة وبهذا لا يصبح للرأس اتجاه للأمتداد إلا إلى الخلف وأعلى . كذلك تحدث الإطالة في نيجيريا والكرتون بواسطة تدليك الرأس لكي تنمو في الاتجاه المطلوب . وهذه الحالات من تعديل النمو الطبيعي للرأس يعتبر مبدءاً جمالي يسير وفقه الطبقة الحاكمة وقد يقلدها في ذلك طبقات الشعب .

٢ - عمل المومياة وتحدث غالباً بالنسبة للزعماء والملوك فقط . فقد وجد في الحضارات العليا في مصر وشمال أفريقيا عديد من أنواع التحنيط وعمل المومياة وفكرة لف الجثمان في كثير من الأقشة أو غيرها من المواد كي تقلل إلى الحد الأدنى احتكاك الجسد بالأرض . ونلاحظ أن هذه الظاهرة قد تطورت بشكل واضح في مناطق معينة مثل ساحل لوانجوشمال مصب الكونغو وعند جماعات بابوينده Babwende شمال نهر الكونغو قرب برازيل . وقد شاهد أحد الكتاب سنة ١٩٢٧ عمل المومياة عند البابوينده ، بعد أن جفف الجسد تماماً لف في كميات هائلة من النسيج والحصير والقش ثم يخاط عليه

جلد أربع أو خمس ثيران بحيث تحولت المومياة الى كتلة هائلة فى صورة إنسان يبلغ حوالى خمسة أمثال الانسان العادى فى سمكه ومثلاثة أمثاله فى طوله . وفى القرن ١٧ و ١٨ كان سكان ساحل لوانجوى يلقون جسد الحاكم فى كميات هائلة من المواد فى شكل شرنقة الفراش . كذلك يحتمل أن يكون ملوك مملكة الكونغو القديمة استعملوا طريقة لف جثمان الميت بكميات كبيرة من المواد . والغالب بين الحكام وملوك القبائل الأفريقية أن الجثمان يلف دائماً بجلود الماشية .

٣ — عمل التماثيل التى تشابه الميت كما فى المقابر الفرعونية حيث توجد التماثيل بجوار المومياة . فملوك مملكة الكونغو القديمة كانوا يصنعون تماثلاً أثناء عملية تجفيف جسد الملك بواسطة الدخان التى كانت تستغرق وقتاً طويلاً . ويذكر هيرشبرج بيت الـ « كا » الذى كتب عنه تالبوت حيث يوضع فيه تماثيل من الطين الجيد يشبه الزعيم المتوفى ويضعون فوق التماثيل ملابس الزعيم كما يضعون على رأسه القبعة ويجلس هذا التماثيل على كرسى وفى كل صباح تقدم له التضحيات ، وهناك اعتقاد بأن الروح ترتبط بالتماثيل ولذلك يتكلم الناس مع التماثيل كما يتكلمون مع الشخص الحى .

٤ — التشابه بين الفن الإفريقى الحديث والفن المصرى القديم ، ومن أوضح الأمثلة منطقة لوانجوا — كساي فى الكونغو حيث توجد التماثيل دائماً وبها الذقن المستعار وهى ظاهرة تمثل التماثيل المصرية القديمة . كذلك تماثيل الملك Kata-mpula ملك باكوبا Bakuba على نهر كساي (وكان يحكم فى نهاية القرن ١٨ وأوائل ١٩) — حيث يبدو فيه بوضوح طابع التماثيل المصرية القديمة الهدوء والحكمة . ويدخل فى هذا الموضوع أيضاً مسألة الذقن الملفوفة فى جديده على أنها مظهر من مظاهر الرئاسة فى أفريقيا الزنجية . مثال ذلك ما يفعله ملوك البانيورو حينما يضعون ذقناً مستعاراً من شعر أبيض من القردة ، وكذلك جماعات الباكراجوى فى غرب أوغندا حيث يلبس الزعيم ذقن مستعاراً تربط إلى الرأس بواسطة عقد من الخرز .

ثم يقول هيرشبرج إن هذه المظاهر الفرعونية دخلت أفريقية الزنجية لا من أرض مصر نفسها إنما من الإقليم النوبي في بناتا ومروى^(٢٠).

“Das grosse Tor, durch das der pharaonische Gedanke in Negerafrikas Einzug hielt, bildete nicht Altägypten selbst, sondern das obere Nilgebiet, Napata und Meroe. Das mag im ersten Augenblick ein wenig uberrasschen”.

وقد نشأت مملكة مروى حوالى الألف ق. م. وملوكها أصلاً من كهنة آمون الذين هربوا من طيبة. وظلت مروى تحت الحكم المصرى قرابة ألف سنة ثم تحوأت إلى المسيحية تدريجياً بعد أن دهرتها قوات ملك أكسوم المسيحى فى القرن الرابع الميلادى وبعد قرنين أى فى أواسط القرن السابع أصبحت مسيحية وبذلك انتهى عهد الوثنية ونفوذ الكهنة وقد اضطروا هؤلا للهجرة أو ربما طردوا وسلكوا طرقاً إلى شمال كردفان ودارفور. ويؤكد ذلك بقوله إننا نجد كثيراً من مميزات وعناصر الحضارة الملكية فى مراحل مختلفة تمتد فى توزيع جغرافى من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب فى مناطق منعزلة مما يدل على اتجاه الهجرات ولهذا نجد كثيراً من التماسك الحضارى بين مصر القديمة ومروى من ناحية وتلك الدول والأقاليم التى توجد على طريق الهجرات من ناحية أخرى. ونجد أن هذا النفوذ المصرى المروى القديم يصل إلى ممالك الهيبا فى هضبة البحيرات وزيمبابوى فى روديسيا وقبائل باروتسى Barotsi وممالك الكوبا واللوبا واللوندا والكنغو البلجيكي جنوباً. وإلى الغرب نجد هذه العناصر الحضارية تمتد من دارفور إلى السودان الأوسط فى ممالك القديمة التى ازدهرت فى العصور الوسطى والهوسا وقبائل ثنية النيجر والسودان الغربى وممالك ساحل غانة. وهذه الدول كلها كانت ترتبط فيما بينها ومن أهم وسائل هذا الارتباط التبادل التجارى. وأن هذه الممالك والقبائل تجمع فيما بينها نموذج حضارى

Hirshberg, 1959. "Altägyptische Kultureinfluss in Neger-Africa". P. 50.

خاص من أهم عناصره الملك الكاهن، أو الملك المقدس، أو القتل المقدس للملك ثم المركز الهام للمملكة الأم في إدارة شئون المملكة إلى جوار ابنها وبعض مظاهر النظام الأبوي في الوراثة، ونظام زواج الملك بشقيقة. كذلك بعض مظاهر في الملابس والزينة خاصة بالأسرة الحاكمة مثل الذقن المستعارة والطرق المختلفة لتجفيف جسد الملك أو الزعيم ولفه بكثير من المواد محاولة منهم في عمل مومياء له. والمركز الممتاز الذي يصل إلى حد التقديس الناشئة، وطريقة عمل مدافن الملوك... إلى آخر ذلك من العناصر.

الخريطة رقم (٢).

ثم يحاول غير شبرج أن يبين إذا كانت هذه العلاقات بين مصر وأفريقية الزنجية قديمة جداً إلى ما قبل التاريخ أو أنها حديثة تعود إلى الهجرات ، فيقول إننا نجد اشتراكاً في الجنس والعادات واللغات وبالتالي قرابة قديمة جداً تربط بين مصر وأفريقية الزنجية ، ويوجد من بين الكتابات الحديثة كتابين يؤيدان هذه العلاقات الحضارية منذ ما قبل التاريخ والمؤلفان هما H. G. Mukarovsky ، E. Zyhlarz وهما من علماء اللغة ومن أم ما ذكرناه وبحسبنا فيه الترابط ما بين كلمة شمس Na — Nge وكلمة ماشية Nag — ge في لغة الفولاني في السودان الغربي — وقد أوضحنا أن الجذر Nag يرجع إلى طبقة لغوية قديمة ترتبط باللغة المصرية القديمة . وإلى جانب هذه الاكتشافات اللغوية نجد أيضاً تشابهاً في حضارات ما قبل التاريخ فمثلاً الطبقة الثانية القديمة من رسومات الصخر في صحراء مصر العليا نجد ماشية شمس حيث القرون في شكل قرص أو بين قرونها قرص — وبماثل هذا الكشف التي قام بها ليفرو وبنديوس في الصحراء حيث وجد كثير من الرسوم على الصخر ومن بينها ماشية قرونها على شكل قرص أو فيما بين قرونها حلقة .

ويمكننا أن نربط بين ماشية الشمس هذه أو ماشية السماء وبين مثيلاتها في مصر ، ويؤكد هذا ما استخلصه العالمان اللغويان الذي سبق ذكرهما عن الارتباط الجنري وارتباط المعنى والمدلول بين الماشية والشمس في لغة الفولاني . ويمكننا أن نتذكر في هذا المجال الآلهة هاتور Hator التي تصور في شكل بقرة تحمل فيما بين قرناها قرص للشمس ، أو نتذكر صورة عجل أيبس المقدس الذي كان يظهر في العصور الأخيرة من تاريخ مصر مرتبطاً بقرص الشمس دائماً . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول إن هناك احتمال ارتباط قديم يعود إلى عصور ما قبل التاريخ بين مصر وبقيّة أفريقيا .

والواقع أنه من الصعب الإجابة على التشابه الحضارى بين مصر وأفريقية
الزنجية لإجابة صحيحة تماما ، وربما كانت العلاقات القديمة جداً فيما قبل
التاريخ هى السبب وربما كانت هذه العلاقات أحدث من ذلك تعود الى
الهجرات التاريخية .

وفى كتاب ميروقتس^(٢١) عن قبائل الأكان Akan أن هذه القبيلة
أو على الأقل فى تاريخها وهو تاريخ حكامها ما يشير الى أنها أتت من جهة
الشمال وخاصة من منطقة واحة بلما على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى .

وفى أبحاث محمد رياض^(٢٢) عن الشلك والجوكون والنظام الملكى
المقدس دراسة تحليلية لهجرة هذه المظاهر الحضارية من مصر إلى مروي
ومنها إلى دارفور ثم الى السودان الغربى ، وكذلك من دارفور إلى أعالي
النيل وهضبة البحيرات .

(٢١) راجع فى قائمة الكتب بهذا المقال تحت اسم ميروفتيس
(٢٢) راجع فى قائمة الكتب بهذا المقال تحت اسم رياض

خاتمة

بعد عرض هذه الآراء العديدة التي ترمى كلها إلى ظهور وتوزيع عدد من الظواهر الحضارية المترابطة في نواح مختلفة من أفريقيا ربما أمكننا أن نختم هذا المقال برأى قد يكون بعيدا عن أن يحسم الموضوع ، ولكنه من قبيل الإدلاء بدلونا في هذا الموضوع .

خلاصة القول انه من الملاحظ أن كل الكتاب قد أجمعوا على وجود التشابه في عدد من العناصر الحضارية ، وإن اختلفوا في تفسير أصلها ، ولكن الكثير من الكتاب الذين ذكرناهم يميلون إلى تأييد التشابه الكثير بين مصر الفرعونية ومروى وبين بقية أفريقيا مما يجعل لهذه النظرية الكثير من الثقل . وعلى أية حال فإن الدراسات التفصيلية الدقيقة لعدد من الظواهر الحضارية من الناحيتين الوظيفية والتاريخية يجب أن تتم قبل أن يحسم هذا الجدل الكبير . وقد لا نكون مباغين إذا قلنا إن الدراسات الأركيولوجية والدراسات الفنية قد تصبح عاملا حاسما في الموضوع ، لأنها سوف تلقى الكثير من الضوء على العلاقات المكانية في الماضي وربما ساعدتنا على دراسة موضوع الهجرة البشرية والحضارية في أفريقيا . ومن الأمثلة التي أسوقها على تدعيم هذا الرأي الدراسة التي قامت بها السيدة الدكتورة أناماريا هيفل A. Hefel عن الآثار المصرية وآثار شمال أفريقيا والبحر المتوسط الغربي في تشكيل فنون صب النحاس وطرقه في تلك المنتجات الفنية الرائعة التي نشاهدها في ساحل غانة بين اليوروبا والبنين والاشاتي . وملخص بحثها^(٣٣) أن النحاس - صهره وطرقه - كان معروفا في غرب أفريقيا قبل وصول البرتغاليين ، ففي كتابات ابن بطوطة والبكري وصفا شيقة

للمعامل صهر النحاس في كيلي Killi في دلتا النيجر الداخلية وفي لوبي Lobi في الفولتا العليا . وهذه المصاهر يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر وربما أقدم من ذلك . والراجح أن مصنع كيلي يعود إلى القرن التاسع أو العاشر .

كذلك تبرهن هيفل بطريقة أخرى غير الكتابات التاريخية على قدم صناعات النحاس في غرب أفريقيا فنقول إنه لا يمكن أن يكون الأوريون قد أثروا على طريقة عمل النحاس في قوالبه المعروفة لأرمثل هذه القوالب الفنية لا يمكن أن تكون قد ظهرت مرة واحدة فجأة أثر وصول الأوريين . ذلك أن الاتجاهات الفنية تستغرق وقتا طويلا قبل تكاملها واستقرارها في صورة فن جديد .

وتوضح هيفل إرتباطات متعمقة في القدم لفنون النحاس في غرب أفريقيا عن طريق الدراسة التفصيلية للمنتجات الأفريقية في بنين والفولتا . ونتيجة لهذه الدراسات خرجت إلى نتائج هامة ملخصها أن فن بنين الأول وهو الذي يطلق عليه فن (يوربا — جيبا — بنين) يرتبط ارتباطاً وثيقاً في تفصيلاته ودقائق صنعه بمثيله من الفنون المصرية الفرعونية في أواخر الدولة الحديثة وأوائل العصور اللاحقة له — أي قبل العصر البطلمي في مصر — وهذا يعني أنه كان هناك اتصال بطريقة ما خلال الألف الأولى قبل الميلاد بين حوض النيل وبين جنوب نيجيريا . وتستمر التأثيرات المصرية حتى العهد القبطي التي تظهر آثارها واضحة جلية في منتجات الفترة الفنية الثانية لبنين ، وهي التي تسمى « فن بنين » فقد لاحظت هيفل من الدراسة المقارنة كيف تتشابه اتجاهات القوالب والرسومات بين الفن القبطي الذي بلغ أوجه في القرنين الثالث والرابع الميلاديين وبين فن بنين ، وتقترح هيفل أن يكون الاتصال بين النيل وغرب أفريقيا قد تم عن طريق حفرة النحاس في جنوب دارفور إلى تشاد إلى النيجر الأدنى . وتقول أيضا بأنه ربما كان هناك اتصال من مصر القبطية عن طريق آخر هو ليبيا —

مرزوق — كانو — نيجيريا . أما الفنون التشكيلية للنحاس في ألا كان —
أشانتى فتربطها هيفل بشمال غرب أفريقيا وحوض البحر المتوسط الغربى .
وهذا النوع من الفنون يختلف عن فن البنين في مرحلتيه ويتشابه مع مؤثرات
من ابريا وإيطاليا وشمال أفريقيا عبر دروب الصحراء الكبرى إلى تمبكتو
وحوض الفولتا الأوسط .

هكذا توضح لنا هذه الدراسة أهمية الأبحاث المستمرة في جوانب
عديدة من الحضارات الأفريقية الترابط والتأثير الذى يشير كله إلى ضرورة
البحث عن أصول عدد كبير من المفردات الحضارية فى مصر وشمال أفريقيا.
